روايات عبير الجديدة

آن ويل

أيام البحر الأزرق

WWW.REWITY.COM

مرمورية

عدد ممتاز

www.

ايام البحر الزرقاء

جمعهما القدر معاً

ولم تكن سارة راغبة في ترك هذه الغرفة تفلت من بين اصابعها - منذ سنوات دخلها الا على مراسل التلفزيون الديناميكي لايل ثالوث . والعمل الان في حديقته الكاريبية يشكل حلما لها .

كان لايل يلقبها ساخرا " بالعذراء السريعة التأثر لذا فورت سارة ان الوقت قد حان ان تصبح امرأة عالمية ولم تكن قادرة على التفكير بمعلم افضل من لايل ...

ولكن سارة اجبرت في وقت قريب ان تقر بانها فيما يتعلق بالحب ليست سوى انثى اوربية .

جمعهما القدر معا

ولم تكن سارة راغبة في ترك هذه الفرصة تفلت من بين أصابعها . منذ سنوات رحلتها الأولى مع مراسل التلفزيون الديناميكي لايل تالبوت. والعمل الآن في صحيفته الكاريبيه يشكل حلماً لها.

كان لايل يلقبها ساخراً « بالعذراء السريعة التأثر » لذا قررت سارة ان الوقت قد حان ان تصبح امرأة عالمية . ولم تكن قادرة على التفكير بمعلم أفضل من لايل . . .

ولكن سارة أجبرت في وقت قريب ان تقر بانها فيما يتعلق بالحب ليست سوى أوزة برية .

لم تكن سارة غراهام قد أخبرت والديها بأمر مقابلة العمل . وكانا قد حصلا على تذاكر لحضور المسرح ذلك المساء ، وكانا يوصلان ابنتهما في طريقهما إلى وسط لندن . وعندما سألتها والدتها إلى أين هي ذاهبة ، أجابتها سارة «سأقابل ليز» وكان هذا صحيحاً . كانت ستلتقي بصديقتها ، بعد المقابلة في فندق وست بوري .

وجلست في المقعد الخلفي لسيارة والدها الروفر المريحة .

والدتها تملك سيارة أصغر تستخدمها في التسوق وكانت سارة تستخدمها في المساء ، ولكنها في الوقت الحاضر قيد التصليح ، وتساءلت وهي جالسة عما سيقوله والداها إذا عرفا بأمر المقابلة . كانت واثقة أن والدها لن يوافق ،

كما لم يوافق من قبل ، ولكن دون إصرار ، على قرارها بأن تصبح صحفية بدلاً من أن تحذو حذوه ، فقد كان جورج غراهام صحافياً ناجحاً تدرّب في إحدى ضواحي لندن حيث تسكن جالية من جزر الأنديز الغربية وقد وُلد هو في تلك الجزر أيام كانت رسمياً تحت الحكم البريطاني وقبل أن تحصل على استقلالها .

عندما تقدّمت بطلب للوظيفة التي جرى الإعلان عنها في صحيفة «أنباء الصحف العالمية» ، كانت هذه محاولة جريئة للحصول على حرية أكبر ، إضافة إلى رغبة طالما تملكتها لتشاهد الجزيرة التي سحرتها من خلال القصص التي كان يرويها لها والدها وهي طفلة . وقالت سارة لوالدها :

ـ أتسمح يا والدي بإيصالي إلى نهاية شارع «بوند» ؟ المحلات لم تُقفل بعد ، وليز قد تتأخر في عملها . وأرغب في التفرج على واجهات المحلات .

لم يكن الفندق الذي ستجري فيه المقابلة يبعد كثيراً عن المكان الذي نزلت فيه . وكان الموعد قد تم ترتيبه في مكالمة هاتفية مع سكرتيرة الرجل الذي أعلن عن الوظيفة .

كانت تعرف أن هناك العديد من الطلبات لمثل هذه الوظيفة الجيدة وأن مؤهلاتها ، على الرغم من جودتها ، قد تكون محدودة أمام مؤهلات من هن أكبر منها سناً .

بعض الفتيات في سنها قد تخجلن من الدخول إلى ردهة فندق في منطقة «وست أند» الفخمة ، ولكن سارة كانت صحافية بالغريزة وأكثر اهتماماً بما يحيط بها من الناس ، حتى أنها لا تعاني من التوتر الذي قد يصيب الفتيات المنطويات على أنفسهن . ولم يكن يقلقها أبداً أن الناس قد لا يحبونها رغم اهتمامها بهم ، وعندها كل شخص مهما بدا مملاً للوهلة الأولى ، فيه شيء جدير بالملاحظة . .

ودخلت ردهة الفندق وتوجهت إلى مكتب الإستعلامات :

ـ مساء الخير ، عندي موعد مع ل . ر . تالبوت ، أيمكن أن ترشدني إلى مكان وجوده ، أرجوك ؟

وأرشدها الرجل إلى أين تذهب ، مشيراً إلى المصعد ، فشكرته ، وتوجهت إلى حيث أشار وخرج من المصعد مجموعة من الناس بثياب السهرة ، وأخذت تتأمل ثياب النساء وجواهرهن ، وما يرتدينه من فراء وهن يمررن بها .

كانت وحيدة في المصعد مع العامل وهو يوصلها إلى الطابق الذي تريد الوصول إليه . وسألته وهي تعلم أن لا شيء يفوت موظفي الفنادق :

ـ هل قابل السيد تالبوت الكثير من الناس اليوم ؟

ـ أجل . . الكثير يا آنسة ، واحدة كل نصف ساعة تقريباً منذ أن بدأت فترة عملي اليوم .

وانخفضت روحها المعنوية قليلاً ولم يعد الأمر يبدو واعداً ، خاصة وأنها في سن يقل بأربع سنوات عن المطلوب في الإعلان . وكانت قد تجنبت ذكر سنها في الطلب الذي أرسلته ، ولكن من المؤكد أنها ستضطر إلى ذكره خلال المقابلة .

ـ حظاً سعيداً يا آنسة !

وابتسمت لعامل المصعد ، ثم تقدمت وحيدة في الممر . ولم يتركها السيد ل . ر . تالبوت تنتظر أكثر من بضع ثواني قبل أن يفتح لها الباب . واتسعت عيناها وهي تنظر إليه ، لم يكن غريباً عليها . . لقد شاهدته من قبل . .

وجهه كان معروفاً لكل من يشاهد شبكة تلفزيون البي بي سي . إنه لايل تالبوت ، أكثر مراسلي شبكة الإرسال البريطانية شهرة ، والأكثر من هذا ، إنه

كان قد بدأ حياته الصحفية كمراسل في نفس الصحيفة التي تعمل بها الآن .

ـ مساء الخير آنسة غراهام . . . تفضّلي أرجوك .

ـ مساء الخير . . .

لم يعد التوتر هو الذي جعلها تتلعثم في الردّ ، فالدهشة هي التي سببت لها الإضطراب . فعلى الرغم من أن أحداً لا يستطيع نفي تألق وسحر لايل تالبوت كصحفي تلفزيوني ، فإنه ما كانت سارة تعرفه عن حياته الخاصة جعلها تشعر بالترقب نحوه .

ـ هل أستطيع أن آخذ معطفك ؟

ـ شكراً لك . .

ـ أرجوك اجلسي آنسة غراهام . هل أقدّم لك شيئاً ؟

ـ لا شكراً . . .

وحاولت أن تضع ساقاً فوق ساق ، ولكنها تراجعت ، وأبقت ساقيها مضمومتين . وجلس على الصوفا المواجهة لها . من الصعب الحكم على حجم رجل من رؤيته على شاشة التلفزيون ، ومع أن عرض كتفيه كان يشير إلى أنه طويل القامة ، إلاّ أن رئيس تحرير الصحيفة التي تعمل لها ، وكذلك صديقتها روز ماري ، لم يذكرا لها أنه فوق الستة أقدام طولاً ببضع إنشات ، عملاق ، نحيل الأوراك بساقين طويلتين .

ولاحظت سارة أنه أكبر منها بما لا يقل عن اثني عشر عاماً . ولو أنها شاهدته عند مدخل الفندق ، ولم تكن تعرفه ، لظنت أنه رياضي أولمبي وتفحصها مطولاً . . وكان من الممكن أن يسبّب هذا لها اضطراباً لولا أنها كانت مهتمة بمقارنة الوجه المألوف لديها من التلفزيون بالوجه الحقيقي للرجل الذي يجلس على بعد خطوات منها .

ولأنها معتادة على أخذ زمام المبادرة في المقابلات ، وناسية أن دورها

هذه المرة يجب أن يكون سلبياً ، بادرته قائلة :

ـ لا أستطيع فهم علاقتك «بالكومبوزتيا انديبندنت» سيد تالبوت .

كيف تكون صاحب جريدة وأنت مشغول بمهامك التلفزيونية ؟

ـ سأتخلى عن العمل التلفزيوني ، بعد أن أنهي أعمالي . .

ـ حقاً ؟

ـ هل يدهشك هذا ؟ في مثل سنك كان سيدهشني الأمر أيضاً . كم عمرك آنسة غراهام ؟ من النظر إليك الست في الخامسة والعشرين .

ـ لا . . ليس بالضبط . .

ـ آمل أن لا تكوني غامضة في كل شيء عادة . . وإلاّ فلن يحتفظ بك بوب .

وكانت هذه إشارة إلى رئيس تحرير الصحيفة التي تعمل بها حالياً .

ـ سأكون في الثانية والعشرين في عيد ميلادي القادم .

ـ وهذا توقيت لم تذكريه في طلبك . .

ـ إنه العاشر من تشرين الثاني . .

ـ إذاً ، فأنت في الواحدة والعشرين فقط .

ـ أجل . . ولكن هل هناك سبب خاص يجعل النجاح من نصيب من هم أكبر في بثلاث سنوات وتسعة أشهر ؟

ـ لديّ عادةً أسباب لتصرفاتي . .

ـ أهناك مانع أن تشرح لي أسباب هذا الشرط الخاص ؟

ـ لا أعتقد أن أية فتاة تحت سن الخامسة والعشرين لديها الخبرة الكافية ، لا عملياً ولا في حياتها الخاصة ، لتكون مؤهلة لمركزها في فريق

عملي الخاص ، لأنه يجب أن يكون فريقاً متكاملاً ، يعيد إحياء « الكومبوزتيا تيوز » في شكل «الاندنبدنت» الجديدة . ولو لم يكن بوب قد أطراك أمامي ، لما كنت الآن هنا آنسة غراهام ، بل كنت سأرفض طلبك دون مقابلة ، كما فعلت بعشرات الطلبات التي لم تكن مرضية .

ـ أتعني أن بوب يعرف بأنني تقدّمت بالطلب ؟

ـ لا . . ولكنه يعرف مشروعي وأنني من نشر الإعلان . لقد تناولت العشاء معه ومع ماغي ، وناقشنا أمر الموظفين الذين أحتاجهم . وذكر اسمك كمرشحة ممتازة . . بطريقة معينة .

ـ بأية طريقة ؟

ـ أنت الآن تتحرقين شوقاً لمعرفة كيفية وصفه لك ؟

ـ هذا طبيعي . . ومن لا يفعل ؟

ـ حسناً سأقول لك . . قال إنك ذكية جداً صغيرة ولطيفة ، وصحفية بارعة ويعتمد عليك في كل المجالات المطلوبة من فتاة بين موظفين أغلبهم من الرجال . ولم يكن بمقدوره أن يصفك بأكثر من هذا . ولكنه قال إنك قد لا تنفعين ضمن فريق موظفيّ ، ولذا لا حاجة لأن أغريك بترك العمل عنده .

ـ ولماذا لا أنفع ؟

ـ صغيرة جداً . . بريئة جداً لان تسافري عبر الأطلسي وتتعرضي لتأثيرات مريبة في جزيرة ، هي بالإضافة إلى أشياء أخرى مرتع للأغنياء العابثين . أنت لا زلت تعيشين في منزل والديك كما أعتقد ؟

ـ أجل . . ولكن ما من أحد سجّل ساعات مثل التي أمضيتها في المراسلات الرسمية ، ويبقى جاهلاً الجانب السيء من الحياة يا سيد تالبوت . وعلى هذا الأساس أعرف كثيراً من حقائق الحياة أكثر من والدتي البالغة الأربعة والأربعين من عمرها .

ـ بوب وماغي ، يظنان أنك ، على الرغم من كونك فتاة لطيفة ومرحة وغير متزمتة ، إلاّ أنك لم تحصلي بعد على تجربة حب . ولأشخاص من جيلهما هذه نقطة جيدة لصالحك . ولكن من وجهة نظري هذا أمر يشكل عائقاً .

ـ ظننت أنك تريد فتاة تكون صحفية كفؤة ، أما إذا كان هناك واجبات استثنائية ، فأنا غير مهمة بالوظيفة سيد تالبوت . ولن أضيع وقتك ، أو وقتي ، أكثر من هذا . .

وقفزت واقفة ، وتحركت لتأخذ معطفها .

ـ توقفي عن التصرف بعصبية واجلسي آنسة غراهام .

صوته كان هادئاً ، ولكن ، فيه لهجة أمر جعلتها تتردد بما فيه الكفاية ليضيف قائلاً :

ـ لن يكون هناك واجبات استثنائية من النوع الذي يبدو أنك تفكرين به . وحالتك هذه ، التي أظهرتيها ، باستنتاجك لما هو خاطىء وبهذا الذعر ، هو أمر غير ملائم . فأنا بحاجة إلى مراسلة لا تفقد أعصابها أو تفكيرها السليم ، كما تفعل قليلات الخبرة . وسيكون لديّ انشغالات مسبقة تمنعني من أن أبقي عينيّ مفتوحتين لمراقبتك عندما يبدأ الذئاب المحليون هناك بالطواف من حولك . وهذا ما سيفعلونه بالتأكيد . .

كانت لا تزال واقفة ، فتجولت نظرته الداكنة ببطء عليها من وجهها إلى قدميها ، ثم رجوعاً إلى وجهها .

ـ أنت فتاة جذابة . لقد تجاهل بوب وماغي ذكر كم أنت جذابة ، وإلاّ لما طلبت منك المجيء إلى هنا .

ـ لست أدري لماذا طلبت مني الحضور فيبدو أنني أملك كل شيء ضدي ، ما عدا قدراتي العملية .

وسمحت لنفسها بقليل من السخرية وقد عرفت أنه لا أمل لها بالوظيفة

وكان جوابه غير المتوقع .

ـ ولكن هناك شيء واحد لصالحك قد يتغلب على كل السلبيات ، لم يكن لأي متقدم آخر أية علاقة بمنطقة الكاريبي بشكل عام ، أو بهذه الجزيرة بشكل خاص . وأنت لك علاقة . فوالدك ولد هناك ، وبما أنك ابنة جون غراهام ، فهذا يعطيك جواز دخول ، وهذا أمر مهم في أي مجتمع صغير ومحافظ .

ونهض واقفاً وأردف :

ـ لقد قلت في طلبك أنك تعرفين الكثير عن الجزيرة بالرغم من أنك لم تزوريها أبداً . . أيعني هذا أن والداك لم يذهبا إلى هناك أبداً ؟

ـ لا . . أبداً لقد أحب والدي الجزيرة وهو ولد صغير ولكنها لا تعجبه الآن ، وكذلك أمي . .

ـ إذاً . . بعيداً عما يسمعه من زبائنه ، فليس لديه أية معرفة مباشرة بالتغييرات التي جرت منذ أن حصلت الجزيرة على استقلالها ، ما عدا استمرار التعاون مع بريطانيا في السياسة الدفاعية ؟

ووافقت على كلامه . وراقبته وهو يجول الغرفة ويكمل كلامه :

ـ عندما كان والدك يعيش هناك ، كان أغلب مجتمع الجزيرة يتألف من البيض ، والمزارعين من مواليد تلك البلاد من أصل أوروبي ، ومن موظفي الحكومة الإستعمارية وعائلاتهم .

في ذلك الوقت كانت الأكثرية السوداء من السكان لا يزالون عمالاً جهلة ، ومعظمهم يعيش حياة الإستعباد . وكان هناك يومها طبقة متوسطة ، توسعت في هذه الأيام بشكل كبير بينما ذهبت النخبة البيضاء إلى الأبد والجهالة في طريقها للزوال ، بسبب وفاة الجيل الأكبر سناً الذي لم يتلق تعليماً مناسباً .

وعاد إلى الصوفا وجلس .

ـ منذ ثلاثين سنة ، المراسلة الوحيدة التي كانت مقبولة لدى الزوجات البيض ، بخدمهن وحفلات عشائهن ، كان يجب أن تكون بيضاء ، ومن أصل معروف . أما الآن فإن رقاص الساعة قد انحرف إلى الناحية الأخرى ، وعلى الرغم من أن المتعلمين هناك يشمئزون من التحيز اللامنطقي كما يفعل كل إنسان متحضر ، إلاّ أن هناك من يتخذ من الماضي عذراً للعداء العنصري الدائم .

ورفع قدمه المغطى بجورب حريري زهري ووضعها على ركبة ساقه الأخرى ، في وضع رجل مرتاح جسدياً وذهنياً . وتمنّت سارة أن تشعر بنفس الإرتياح .

ـ اقتصاد الجزيرة يعتمد الآن اعتماداً كبيراً على السياحة ، كما كان في الماضي يعتمد على السكر . ومع ذلك فقد تجدين بعض السياح يتعرضون إلى العدائية لكونهم فقط من الجنس الأبيض . في نظري الكراهية للبيض هي غباء كامل كما الكراهية للسود . ولكن لا تستطيعين إنكار وجودها . أكثرية المرشحين لهذه الوظيفة لا يعرفون شيئاً عن السكان أو عن عاداتهم ، وأنت تعرفين ، وأكثر من هذا ، فإن اسمك معروف ومحترم بين العديد من المخلطين الموجودين في لندن ، وعن طريق رسائلهم لأصدقائهم وأقربائهم في الجزيرة ، وهذه حجة مؤيدة تتوازن مع العديد من السلبيات آنسة غراهام .

ـ والسلبية الرئيسية هي عدم خبرتي بالدنيا .

فهز رأسه وقال : «أجل هذا صحيح» .

وركّزت عينيها الصفراوين الكهرمانيتين الكبيرتين ، واللتين يقال إنها ورثتهما من جدها الفرنسي الأكبر ، على وجهه وقالت بوضوح :

ـ هذا النوع من التجربة يمكن الحصول عليه بسهولة ، ومن الصعب جداً تجنبه يا سيد تالبوت . لقد وصفتني الآن بأنني جذابة . وأنا أعمل مع الرجال وبين الرجال . مراسلين . . . رجال بوليس . . محاميّ دفاع . . سكرتيري نواد رياضية ، كل أنواع الرجال ومن مختلف الأعمار .

وليس من دواعي الإفتخار أن أقول إنني أستطيع الحصول على موعد كل ليلة ، إذا لم يكن لديّ مهمة أؤديها ، كما يمكن لأية فتاة مراسلة ، ألا تظن أن واقع أن هذا لم يحصل حتى الآن يشير إلى أنني لا أهتم بالأمر كثيراً ؟

ـ هذه نقطة قوية لصالحك . سأحتفظ بها في ذهني .

وبدا قوله واعداً أكثر ، فقالت : «هل تمانع في أن أسألك سؤالاً ؟» .

ـ تفضلي . .

ـ ما هي علاقتك بمنطقة الهند الغربية ؟

ـ كعلاقتك تماماً ، والدي ولد هناك . كان مهندساً مجنداً في القوات الجوية الملكية ، في بداية الحرب العالمية الثانية ، وبقي هنا لبضع سنوات فيما بعد . وقد ولدت أنا في بريطانيا ، وتجولت في أقطار العالم . في أي مكان يعمل فيه والدي كان يأخذنا معه ، وقادنا السفر أخيراً إلى جزر «ليوارد» . وأدهشني أن لا أجد جريدة في «كومبوستيلا» . وشعرت أن هذا أمر سيء ، في وقت كان الشعب الكاريبي كله يتعرض لتأثير كوبا وبلدان العالم الثالث حيث هناك ضغط شيوعي كبير . والنقص في وجود صحيفة حرة ومسؤولة هو خطر جداً على حرية الكلمة والرأي الصحيح . وبدا لي أن العمل على إعادة إنشاء جريدة في كومبوستيلا جدير بالإهتمام ، وربما فيما بعد ، منافسة صحيفة «الستار» في جزر الانتيك .

والتقط مشبك الأوراق مرة أخرى ، وأخذ يتفحص رسالتها بسرعة .

ـ كيوغرين ، إنه مكان رائع للسكن ، يختلف كثيراً عن المنطقة التي

تعملين فيها . . ما هو نوع الحياة التي تتصورينها ، إذا أتيت للعمل في كومبوستيلا ؟

ـ غرفة مع عائلة محلية . . ستكون أفضل شيء كما أعتقد .

ـ قد نستطيع إيجاد غرفة للإيجار ، ولكن قد لا تكون بمستوى منزل أهلك ، وفي بعض الأحيان تفتقد الجزيرة الماء ، وهناك نقص كبير في الكهرباء وهذا ما يجعل الحياة غير مريحة . . ولكنك لم تسأليني عن المرتب ، أم أن العون الوالدي يجعل الأمر غير مهم ؟

ـ لا أعرف لماذا تفترض هذا ، الآن والدي رجل ناجح يجب أن أبقى مدللة طوال الوقت . هل بإمكانك تصور فتاة مدللة تعمل في الصحافة سيد تالبوت ؟ على كل ليس لديّ مصاريف كثيرة ، فالأزياء لا تهمني ، وكل مصروفي يذهب على الكتب .

ـ وكذلك أنا . . لا يجب أن تغضبي آنسة غراهام ، لم أكن أشير إلى أن الدلال أفسدك ، هل أنت سريعة الغضب بطبعك ؟

وأدركت أنها تسرعت في اظهار ناريتها في مثل هذه المقابلة ، فتغير مزاجها بسرعة ، ولكن دون ارتياح ، وقالت :

ـ أنا آسفة . . معك حق . . ولكنني لا أغضب عادة هكذا ، أعتقد أنني متوترة أكثر من العادة . . أنا . . أنا أريد هذه الوظيفة ، ولقد خاب أملي لأنني أعرف بأنه لديّ المؤهلات المطلوبة ما عدا أنني تحت السن ، قليلاً . . .

ـ ولكنك تعرفين كيف تعتذرين ، وهذا يكفي .

ووقف وهو يتابع كلامه :

ـ شكراً لقدومك آنسة غراهام . لقد كنت أعتقد أن بوب وزوجته قد بالغا في وصفك ، ولكنني كنت مخطئاً . أما بالنسبة لملائمتك للعمل في صحيفتي فهذا أمر يحتاج إلى دراسة . وسأبلّغك في كلا الحالتين في أقرب

وقت .

قال هذا بلباقة وتجاوزها ليفتح الباب ، وفي الردهة الضيقة بدا أطول ، وأعرض . ولم تكن هي بالفتاة القصيرة ، ولكنه كان أطول منها بكثير ، وكان ملمس راحة يده على الرغم من القوة الظاهرة فيها ، ناعماً لطيفاً وهو يطبق يده على يدها مصافحاً :

ـ عمت مساء سيد تالبوت . .

ـ عمت مساء سارة غراهام .

وشعرت أنه راقبها وهي تسير قسماً من الطريق في الممر الطويل ، لأنها كانت قد سارت عدة خطوات قبل أن تسمع الباب يغلق وراءها . وسألها عامل المصعد «هل حصلت على الوظيفة يا آنسة ؟» .

ـ لا أعرف بعد ، إنها قضية «لا تتصلي بنا . . ستتصل بك» .

في الطابق الأرضي ، ما بين البابين الزجاجيين اللذين يحميان الردهة من تيار الهواء ، لبست معطفها ، ونظرت إلى ساعتها . لقد قضت عشرين دقيقة فوق ، ربما وهي تسير الآن مبتعدة ستصل مرشحة أخرى ، أو ربما هي آخر واحدة لهذا اليوم ، وسيكون باقي أمسيته حراً للمرأة التي تشغل حياته حالياً . شعرت بأنها متأكدة أن لديه امرأة ، أو ربما لأنه موجود في لندن بصورة مؤقتة ، وكل حاجياته نقلها إلى كومبوستيلا ، سيفتش عن لهب قديم .

هل فعلاً أرغب في العمل له ؟ سألت سارة نفسها وهي تسرع باتجاه شارع أوكسفورد ، وكان الجواب على تساؤلها : أجل أريد أن أعمل له أكثر من قبل وكانت تعرف السبب .

منذ سنوات ، وفي أيام المراهقة الرومانسية ، وقعت في حب لايل تالبوت ، بالطريقة التي تقع فيها الفتيات في ذلك العمر بحب المثال الأعلى للرجل .

صديقتها ليز أحبّت روبرت ردفورد «الممثل» ولكنها توقفت عن البكاء من أجله عندما منعها والدها بالخروج في مواعيد مع الشبان ولكن وهم سارة العاطفي استمر مدة أطول . فقد استمرت بحلم اليقظة بلايل تالبوت حتى بعد خروجها مع عدة شبان ولم يصل واحد منهم ليكون على مثاله :

واستمر الحلم إلى أن أخبرتها روز ماري . زوجة أحد المحررين الأعلى منها ، أي نوع من الرجال هو .

كانت خيبة أمل صادمة لها أن تعلم أن رجل أحلامها إنما كان من صنع خيالها ، مجرد مخلوق بالكاد أن يكون كاملاً رسمت صورته على الشاشة فقط .

كانت البزابيث برت تنتظر خارج مدخل الموظفين في مركز عملها ميت كانت سكرتيرة نائب المدير . كانت وظيفة جيدة استطاعت الوصول إليها لكونها كانت النجمة بين تلاميذ سنتها الدراسية في أفضل كلية لتدريب السكرتاريا بالنسبة لسارة، وظيفة صديقتها تبدو تقريباً مملة بالمقارنة مع عمل المحرر الشديد التنوع ولكن ليز كانت سعيدة بعملها. والإختلاف في أذواقهما لم يمنعهما من التصادق عندما كانتا في سن الثانية عشرة ، ومن أن تستمرا صديقتين بعد ذلك لتسع سنوات .

كانتا تلتقيان لتناول العشاء كل ليلة بعد أخرى تقريباً وكانتا تبوحان لبعضهما بأسرارهما العميقة :

وكانت ليز تعرف بأمر المقابلة ، وكان أول سؤال لها عندما شاهدت سارة :

ـ كيف تم اللقاء ؟

ـ بشكل سيء . . من عدة نواحي . . كنت أعلم أن عمري عائق لي ، ولكنني لم أتصور أبداً أن يكون صاحب الصحيفة هو لايل تالبوت .

- أنت لست جادة ؟ . . . إذاً ، لقد التقيت به أخيراً . . . كيف شكله ؟

خلال الوقت الذي قطعتا فيه المسافة إلى المطعم الإيطالي عند زاوية الشارع ، كانت سارة قد أخبرتها كل تفاصيل المقابلة وسألتها ليز بعد أن دخلتا المطعم واختارتا الطعام .

- لنفترض أنك حصلت على الوظيفة . . هل ستقبلين بها الآن بعد أن عرفت مع من ستعملين ؟

- لا أعرف ، عليّ التفكير بالموضوع ، ولكنني متأكدة أنني لن أحصل عليها .

- أظن أن عليك القبول بها . وخاصة أنك قلت إن ماري روز جعلتك تتخلين عن التفكير به ، بعدما أخبرتك كيف تخلى عنها . أظن أنك لن تتعلمي من تجارب الآخرين . . .

- وهذا ما حدث لك مع جورج . . لقد توقفت علاقتكما لنفس السبب ، لأنك لم ترغبي في أن تتسببي بالكوارث للآخرين .

- أجل . . ولكنني متشائمة بطبعي ، أما أنت فمثالية . لقد كنت مجنونة بحب لايل تالبوت منذ أن رأيتيه على التلفزيون عندما كنت في الرابعة عشرة . وأظن أنك لا زلت متأثرة به ، وإلاّ فلماذا لم يؤثر عليك رجل حتى الآن .

- لا أعلم . . .

- لسبب بسيط . . هو أن أي واحد منهم لم يشابهه ، والطريقة الوحيدة لإخراج رجل من حياتك تماماً هو أن تكتشفي بنفسك أن سحره لم يعد يؤثر بك .

- آخر مرة التقينا قلت بأنك تتمنين أن تكوني مثلي . .

- أتمنى ولا أتمنى . . على الأقل عندما يأتي الرجل التالي في حياتي لن يكون حكمي عليه متسرعاً بعد ، تجربتي . .

وقطع حديثهما وصول الساقي بالطعام وبعد أن ذهب أكملت :

- كم سيكون المرتب ؟ هل هو أفضل مما تحصلين عليه الآن ؟

- لقد نسيت أن أخوض في هذا الموضوع . لقد تطرق إلى الموضوع ، ولكن بطريقة جعلتني أتضايق ، بإشارته إلى أنني ابنة رجل ثري ، وتتسلى بعملها كصحفية . وأوضحت له أنني لست كذلك ، واعتذرت لمهاجمته ، فنسيت كل شيء حول المرتب . بعدها مباشرة وقف وودعني . وهذا دليل على أنه لم يضعني على لائحته .

- من وجهة نظري الأنانية ، آخر شيء أريدك أن تفعليه هو السفر إلى الخارج ، سأفتقدك كثيراً يا سارة ، ولكنني أظن ، من وجهة نظرك أنت ، قد حان الوقت لتقطعي رباط الطفولة . أمك عظيمة ، وأحسدك على علاقتك معها ، أنا ليس لديّ سوى المشاكل مع أمي . ولكن يبدو أن أمك مصممة على تزويجك ابن صديقة لها ، وهي تفضل رودي ، وكم من الوقت تستطيعين مقاومة تصميمها ؟

وقالت سارة معترفة : «الأمر محرج ، فأنا سأخرج معه ليلة غد ، ليس هناك طريقة لتجنبه ، ومع ذلك أحب أن أخرج معه ، إنه شاب لطيف ، ويعجبني ، سيصحبني إلى حفلة عشاء ، ولكنني أخاف من أن يفكر بي جدياً » .

- قلة اهتمامك به قد تكون لسبب في تفكيره بك بجدية ، فهذا يبعث في الرجل غريزة الصياد ، وهو إحساس ليس كثير الظهور في أيامنا هذه ، لأننا مزية سهلة ، إذا لم أقل إننا كبطة تنتظر من يصيدها .

- أجل هذا ما لاحظته ، وهذا ما يجعلني أتخوف من تصرف رودي .

- لو كنت مكانك لفكرت مرتين قبل أن أتخلى عن رجل لديه الكثير ليقدّمه لك . . نعم . . أعرف أنك تعتقدين أن الحب شيء جوهري . ولكن

هل هذا واقعي ، على المدى الطويل ؟ وعندما يتوقف الحب ، أو على الأقل ، يصبح أضعف من المفيد وجود أشكال أخرى يستطيع المرء اللجوء إليها من أنواع المرح ، الملابس الرائعة ، البيت الجميل العطل الساحرة . . أعياد الميلاد المسرفة في التبذير والهدايا الثمينة .

ـ لا . . فأنا أرغب في الحصول على حياة مريحة مثل حياة أمي ، ولكنني لست مستعدة لها بعد ، أريد أن أفرد جناحي أولاً . . ليس عندي أمل حقيقي في العمل في كومبوستيلا ، ولكن التقدم إلى الوظيفة شجّعني للتقدم لوظيفة أخرى .

في اليوم التالي وصلت سارة إلى المكتب قبل الموظفين . أول شيء فعلته بعد إشعال نار المدفأة الغاز في غرفة مكاتب المحررين ، أن ذهبت إلى مكتب رئيس التحرير تتفحص دفتر ملاحظاته . كان يكتب على الدفتر كل الوقائع التي يريد أن يغطيها ، ويضيف إليها الحرف الأول من اسم المحرر المناسب أكثر للمهمة ، وأحياناً يقوم بتغيير التكليفات لذا كان لفحص دفتر الملاحظات أهمية في عملها المعتاد .

هذا اليوم ، وجدت أن حرف اسمها لم يكن مسجلاً أمام أية مهمة وهذا يعني أنها غير مقيدة بعمل ، وتستطيع أن تنهي «صفحة المرأة» المسؤولة عنها مباشرة ، هذا إذا لم يقاطعها رنين الهاتف .

في المساء التالي ، عندما دخلت سيارة رودريك بنسون ، إلى مدخل نزل آل غراهام المفروش بالحصى ، ووقفت أمام المنزل الفخم الفيكتوري الطراز ، كانت سارة تنتظر في غرفة الجلوس .

ودخل رودي إلى المنزل وتحدث بضع كلمات مع والديها . ثم استدار أليها قائلاً : «تبدين جميلة جداً هذا المساء يا سارة !» . . كان أكبر منها بثلاث سنوات ، ولكنه بدا الليلة طفلاً أكثر من اللزوم ، بالمقارنة مع الرجل الطويل الواثق من نفسه ، والذي لا يزال وجهه يحتل مركز الصدارة في

ذهنها .

ـ شكراً لك . .

أحد الأسباب الرئيسية لفشل محاولة والديهما جمعهما معاً ، كان الإختلاف في شخصيتهما . رودي كان دائماً يمزح ويرمي النكات كيفما اتفق وأحياناً نوادر غير محتشمة ، وكلها سمع عنها . لم يكن يقول شيئاً مضحكاً أو مرحاً من تلقاء نفسه ، أو يلاحظ أشياء قد تجدها هي مسلية ، وقارنه بلايل تالبوت . . . ولكنها وبخت نفسها قائلة : توقفي عن هذا ، فهذا الفخ الذي وقعتي فيه في الماضي ، الوهم في اخفاء كل صفات الرجل المثالي عليه .

ليز كانت على حق ، فهي كانت مجنونة بحبه لسنوات ، ولا تزال ، على الرغم مما قالته روز ماري عنه ، وكان هو السبب في قرارها أن تصبح صحافية ، قبل وقت طويل من تقرير باقي الفتيات في سنها ما هي مواهبهن الحقيقية .

وصرفت أفكارها في الوقت المناسب لتسمع رودي يقول كل الأشياء التي تطمئن الأمهات :

ـ لن نتأخر سيدة غراهام . . لا تقلقي . . سأكون حذراً جداً . . .

ـ أنا لا أقلق عندما تكون سارة معك يا رودي . . .

وبعد حوالي خمس ساعات من هذا الحديث ، وعندما ركن سيارته ثانية أمام المنزل مطفئة الأنوار ، تذكرت سارة ما كان قد قاله ، فضحكت ، وضحكتها هذه كانت سبباً في إثارته ، ومحاولة مغازلتها ، على الرغم من محاولاتها لتخليص نفسها من عناقه الوداعي ، وأسقط في يدها ولم تستطع منعه .

وفجأة . . تجاوز حدود العناق الخفيف المعقول . وبدأ في عناق محموم لم تستطع الإستجابة له ولا احتماله ، وعادت إلى الضحك ثانية لتذكّرها قول

أمها إنها لا تخاف عليها وهي معه ، وبدا عليه الضيق .

- ماذا يضحكك .

- كنت أتساءل عما إذا كان والداي قد سمعا وصول السيارة ، وينتظران ذهابها ، ووالدتي تؤكد لوالدي إن رودي لطيف مهذب ، ولن يخرج أبداً عن أدبه .

- لم أخرج عن أدبي .. أو .. ليس كثيراً ، أنت تعلمين أنني أحبك بجنون . وأهلك لا يمانعون في علاقتنا . وأنا لا أقصد العبث ، بل أريد أن أتزوجك .

- أوه .. لا .. أرجوك .. أنا آسفة ، فأنا لا أحبك .

- ولكنك معجبة بي .. أليس كذلك ؟

- طبعاً .. ولكن ..

وضاع كلامها عندما فرض عليها عناقاً محموماً أكثر . وهذه المرة قاومته بعنف ، وعندما التقطت أنفاسها قالت له غاضبة :

- أنا لا أحب أن تعانقني هكذا !

- يا إلهي .! أنت حقاً مفرطة بالإحتشام . لقد قيل لي إنك هكذا ، ولكنني لم أصدّق .

- بما أنك اكتشفت الحقيقة بنفسك الآن ، عمت مساء يا رودي ..

وخرجت من السيارة ، وهرعت نحو الباب الأمامي للمنزل وهي تبحث في حقيبتها عن المفاتيح .

هل أنا فعلاً مفرطة في الإحتشام ؟ راودها السؤال وهي تقف قرب المغسلة في غرفة نومها ، وقد خلعت ثيابها ، وتزيل الزينة عن وجهها قبل أن تنظف أسنانها .

وعكست المرآة عينيها الذهبيتين الغامقتين كلون عيني الأسد ، ويقال إن عينيها تعودان لفتاة من المارتنيك تبرأت منها عائلتها اللاتينية الثرية التي من أصل فرنسي ، بعد أن هربت مع شاب غير مؤهل ، ومفلّس هو الجد الأكبر لسارة . ولم تكن تلك الفتاة مفرطة في الاحتشام ، وهذا أمر مؤكد ، ولكنها كانت فتاة لها إرادة قوية ، ومتهورة . ومن أجل الحب تخلّت عن كل شيء في عصرٍ كان من الصعب على النساء فيه اتباع هوى قلوبهن .

وفكرت فيها سارة بحسد .. كم كانت تحبه ؟

اليوم التالي . كان يوم السبت ، يوم راحتها . وخلال تناول الإفطار أخبرت والديها أن رودي طلبها للزواج ، وأنها لم تستطع أبداً أن تقول نعم . وأنهما افترقا متخاصمين .

وبحلول المساء بدأت أمها تتقبل فكرة أنها قد أساءت الحكم على هذا الزواج .

يوم الاثنين ، لم يصل البريد الصباحي إلّا بعد أن غادرت سارة المنزل إلى عملها . وطوال النهار كانت تشعر باقتناع أن ساعي البريد قد أوصل لها رسالة ، عنوانها مطبوع : إلى الآنسة سارة غراهام .. وتحتوي على رسالة رسمية قصيرة تعتذر بأن الوظيفة الخالية قد شُغلت .

ولم يكن لديها ذلك المساء أي عمل تقوم به ولكنها تركت المكتب متأخرة ولم تصل إلى البيت إلّا قبل قليل من موعد طعام العشاء العادي .

عادة ، عندما تدخل إلى المنزل ، تذهب مباشرة إلى غرفتها ، لتبدّل ثيابها قبل تناول العشاء . ولكن والدها الليلة خرج من غرفة الجلوس ليعترض طريقها قائلاً :

- لديك زائر يا سارة .

- لا .. ليس رودي ؟

ـ لا . . ليس رودي !

ودخل إلى الغرفة ، ولحقت به سارة وهي متحيرة . .

ـ مساء الخير آنسة غراهام . . .

كان هذا صوت لايل تالبوت ، وهو ينهض عن الكنبة التي كان يجلس عليها بالقرب من أمها ليقف أمامها محيياً . . بطوله الفارع .

الفصل الثاني

هتفت بقوة قائلة «ما . . ماذا تفعل هنا ؟» .

وقال بهدوء : «لقد مضى عليّ هنا ساعتان ، وبما أن والداك رأيا أن من غير الممكن طردي ، فقد دعواني إلى تناول العشاء بكل لطف منهما» .

وقالت لها أمها شارحة : «في الواقع لقد أتى السيد تالبوت ليدعوك إلى العشاء معه يا سارة . لماذا لم تقولي لنا إنك قابلتيه مساء الجمعة ؟» .

وقال لايل تالبوت وقد بدا عليه السرور :

ـ ربما نسيت أنها قابلتني . فقد ينسى الإنسان مقابلة بعض الأشخاص .

وردّت عليه السيدة غراهام بخبث : «ربما شخص ممل ، ولكن ليس أنت» وأشار والدها قائلاً : «ربما أن سارة لم تخبرنا لأن السيد تالبوت عرض عليها وظيفة في جريدته ، وشعرت بأننا قد نطلب منها أن تتخلى عنها» .

ـ وقال الرجل الشاب بنعومة :

ـ لا لم أعرض عليها وظيفة يوم الجمعة . لا أفعل هذا مع شخص التقيته لتوي . ولكننا تحدثنا عن الجريدة والجزيرة . وهذا سبب وجودي هنا ، إذا أحببت زيارة جزر الانديز ، والإنضمام إلى موظفي جريدتي لسنة أو ما يقاربها ، فسأكون مسروراً لقبولك آنسة غراهام .

ووقفت سارة مصدومة وقد فقدت القدرة على التكلم . وصُدمت أكثر عندما شجّعتها والدتها قائلة : «أعتقد أنه يجب عليك القبول يا حبيبتي . إنها

www.rewity.com

مزحة رائعة لك . لقد أخبرنا السيد تالبوت عن مشاريعه للجريدة ، وعلى الرغم من أن لديّ تحفظات على سفرك لوحدك إلى مكانه لا تعرفين فيه أحد ، إلاّ أنني أشعر أننا نعرفه ، وستكونين بأمان تام تحت حمايته .

- زوجك قد لا يشاركك في ثقتك باستقامتي سيدة غراهام .

- أنا واثقة أنه يثق بك سيد تالبوت .

- هل ستكون مسروراً إذا ذهبت ابنتك إلى كومبوستيلا يا سيدي ؟

- لا . . لن أكون سعيداً ، سنشتاق إليها ، ولكن ليس لديّ اعتراض . أما بالنسبة لسارة فهي فوق الواحد والعشرين من عمرها ، وهي فتاة عاقلة متزنة ، ولم تسبّب لنا قط القلق . وتستطيع العناية بنفسها .

ونظر لايل إلى سارة التي ما زالت صامتة «والداك موافقان فماذا لديك لقوله في هذا الموضوع ، آنسة غراهام ؟ لا أستطيع إعطاءك الكثير من الوقت للتفكير . يجب أن يكون الجواب نعم أو لا فوراً . أو على الأقل قبل أن أغادركم الليلة .

وقالت السيدة غراهام وهي ترافق ابنتها خارج الغرفة :

- أظن أن المسكينة مذهولة . اذهبي إلى غرفتك وغيّري ملابسك يا عزيزتي أما أنا فيجب أن أحضّر وجبة الطعام» .

في الردهة قالت لها بصوت منخفض : «إنه فاتن هل لديه زوجة ؟» .

- لا أعرف ، ولكن لا أعتقد .

- لما لا ترتدين كنزتك الكشميد التي حصلت عليها في الميلاد؟ إنها تناسبك تماماً ، بذلك اللون الأخضر الشاحب .

- أوه يا أمي ! لا تبدأي . . أرجوك لا تبدأي التفكير في هذا الاتجاه ، هذا لا يفيد ، حقيقة .

- لا أدري ماذا تعنين ، كنت أقترح عليك فقط أن ترتدي كنزة جميلة لم ترتديها من قبل .

وذهبت نحو المطبخ ، وسارت سارة ببطء صاعدة إلى غرفتها . غير قادرة على استيعاب أمر أن الوظيفة قد أصبحت لها ، إذا أرادت . ولكن هل تريدها ؟ هنا السؤال . لأنها تعطيها فرحة مباشرة لتشاهد قسماً من العالم كانه يسحرها على الدوام ، وكذلك هي فرصة معقدة بواقع أنها ستعمل لرجل كان لمدة طويلة يسحرها بنفس الطريقة . حقيقة قد تكون كوسبوستيلا مشابهة للصورة التي رسمتها لها ، وقد لا يكون لايل تالبوت من دون عيوب ، كما كانت تحلم به أيام مراهقتها .

وغيّرت ملابسها ، ولكنها لم ترتدي كنزة الكشمير المرتفعة الثمن بل ارتدت نفس الثوب الزهري الذي ترتديه عادة في البيت . ثم نزلت إلى الطابق الأسفل نحو المطبخ لتساعد أمها ولكن أمها أرسلتها إلى غرفة الجلوس حيث كان والدها ولايل يتحدثان عن السياسة في الكاريبي .

ووجدت نفسها تفكر بلايل في باخرة شراعية ، يراقب البحر التركوازي الصافي ، وهي تجلس حيث يجلس الركاب في طريقهما في نزهة على شاطىء مرجاني مهجور . وأنّبت نفسها قائلة : لقد أصبحت سيئة كأمي ، التي ترى أن كل رجل جذاب هو زوج محتمل ، ما عدا أنني لا أنظر إليه كزوج .

لقد عرفت بوضوح أنها إذا ذهبت إلى الجزيرة ، فسوف تلزم نفسها بأول علاقة حب حقيقية . فلو رغب بها فلن تكون هناك طريقة لمقاومته .

ولماذا ، بالتأكيد ، عليها أن تقاومه ؟ فكما قال والدها منذ قليل ، لقد أصبحت فوق الواحد والعشرين من عمرها ، وهي مستقلة . قولاً يوافق والداها على الأمر ، ولكن ما لا يعلمانه لا يمكن أن يؤلمهما . على كلٍّ ، كل

جيل لديه نظرة مختلفة عن القيم الأخلاقية .

وأعلنت السيدة غراهام من عند الباب «العشاء جاهز» وقادتهم إلى غرفة الطعام وأشارت بيدها «تفضل بالجلوس هناك سيد تالبوت» . ولم يذهب فوراً إلى الكرسي الذي أشارت إليه بل توقف يسحب كرسي سارة لتجلس عليه قبل أن يسير حول الطاولة نحو كرسيه .

ـ أفضّل أن تدعوني لايل . وإذا قررت ابنتكم الإنضمام إلى موظفيّ سأدعوها سارة . وأنا أكيد من أنني قادر على فرض سلطتي عند الضرورة دون اللجوء إلى الرسميات .

ونظر إلى سارة عبر الطاولة وفي عينيه ابتسامة . فقالت والدتها :

ـ حسناً ، فليكن ما تريد يا لايل . لا أستطيع أن أفكر بأنك شخص قد قابلناه لتونا . أعتقد أن معظم الناس ممن يشاهدونك يشعرون أنهم يعرفونك .

ـ أجل . . وهذا قد يكون مرهقاً بعض الأحيان . فالغرباء تماماً يشعرون بحرية في التحدث معي حول أسرار بيوتهم ، أو عن قصص حياتهم . ووجهي المعروف للملايين لا يعطيني أفضلية ، أؤكد لكم ، وسأكون مسروراً بالإنسحاب لأصبح مجهولاً كرئيس تحرير .

ـ ولكن بد أن لها بعض الأفضليات . أفضل الطاولات في المطاعم و . . ما إلى ذلك .

ـ نعم إذا كانت مثل هذه الأمور مهمة ، أما بالنسبة لي فلا ، أو لم يعد مهماً . فأنا محسن الحظ لم أعد مهتماً بالشهرة إلى الأبد . فالعاملون في التلفزيون ينساهم الناس بسرعة عندما يتوقفون عن العمل .

ـ هل تعمل زوجتك في التلفزيون ؟

داخلياً ، انقبضت سارة ، فقد كانت متأكدة أنه لم ينخدع ببراءة سؤال

أمها أكثر من انخداعها هي به .

ـ أنا لست متزوجاً سيدة غراهام . حياتي حتى الآن لم تكن ثابتة كفاية لتجعل من الزواج أمراً عملياً . ومراسلوا الأنباء المتجولون لا يحصلون على تأمينات عالية ضد الأخطار ، لذا فإنه مبلغ التعويض الذي كنت سأتركه لأرملتي ، في حال كنت واحداً من العديدين من قليلي الحظ الذين قُتلوا أثناء العمل في السنين الأخيرة ، سيكون صغيراً .

وصمت ولمعت نظرة ساخرة في عينيه «ربما هذا قد يغير رأيك في تشجيع سارة على الذهاب والعمل في كومبوستيلا . ما من شك أنكم كنتم ستشعرون بالسعادة أكثر لو أن حمايتي لها كانت بمشاركة زوجة» .

ولم تدرك السيدة غراهام ، أنه لا حظ أنها تقوم بدور الخاطبة وأنه سخر منها بمكر دون أن تشعر ، فقالت : «ربما دون التزامات عائلية ، سيكون لديك وقت أكبر لمساعدة موظفيك على الإستقرار . هل كلهم من لندن ؟» .

ـ لا . في حال انضمام سارة إلينا سنكون الوحيدين القادمين من بريطانيا . والآخرون سيكونون من مواليد الأنديز الغربية ، رئيس المحررين صحفي من بارباد ، والأقل رتبة من ترينداد . ومن جهة العمل عندي رجلين من المحليين ليديرا المعدات القديمة الطراز المستخدمة في طباعة الجريدة . سنبدأ العمل كصحيفة أسبوعية على أمل أن تصبح نصف أسبوعية . في أوج مجدها كانت جريدة «ستار» في الانتيك لا تستطيع بيع ثلاث نشرات في الأسبوع . ولكن الظروف تغيرت كثيراً منذ عام ١٩٣٦ عندما تأسست «الستار» . ويجب أن أكون صريحاً معكم وأحذّركم أنني وسارة قد نعود إلى لندن في مثل هذا الوقت من السنة القادمة نبحث عن عمل .

وجاءه رد والدة سارة المريح «أوه . . حسناً ، هذا ليس أمراً مثيراً للقلق» .

ـ ربما ليس بالنسبة لسارة ، ولكن بالنسبة لي قد يكون مقلقاً . على كل

الأحوال ، ما كنت شرعت بهذا المشروع لو لم أكن واثقاً من نجاحه .

كانت السيدة غراهام طباخة ممتازة ، اهتمامها الرئيسي في الحياة توفير الراحة لزوجها وابنتها قدر المستطاع ، وتوفير طعام لذيذ ومتوازنة لهما ولم يكن لايل يجاملها عندما أثنى على طبخها ، وتناول طبقاً آخراً من كعكة التوت .

وعاد الرجلان إلى غرفة الجلوس بينما كانت السيدة غراهام تصنع القهوة ، وسارة تنظف الطاولة وتضع الصحون في غسالة الصحون . ولم تكن قد شاركت في الحديث خلال تناول العشاء ، وها هي الآن قد قررت أن تمضي في المغامرة . وإذا أخفقت الصحيفة بعد سنة ، أو أنه لم يجدد عقدها . فستعود إلى انكلترا وقد وسعت أفق معلوماتها في كل الأمور . وإذا كان عيش الحياة على أوسع مداها يعني الحزن فليكن ذلك .

لقد آن الأوان لوضع عهد المراهقة وراء ظهرها لتصبح امرأة . فماري مارتن ، جدتها الكبرى ، كانت قد سخرت بالحذر والتقاليد . ولن يعيب أحد سارة لأنها ستفعل ما تفعله العديد ممن هن في مثل عمرها ، كأمر واقع .

عندما أعلنت عن قرارها ، انقلب الحديث إلى الأمور العملية : مدة الإنذار بترك الخدمة التي يجب أن تعطيها لرب عملها الحالي ، والترتيبات لرحلتها إلى كومبوستيلا ، التي ستكون بطائرة الجمبوجيت إلى الأنتيك ، وبعدها بطائرة أصغر إلى الجزيرة المجاورة .

عندما حان موعد رحيل لايل قالت سارة إنها ستوصله إلى المحطة . فقال لها :

ـ لا لزوم لهذا . فالمكان قريب من هنا .

ـ هناك شيء آخر أحب أن أسألك عنه ، سأجلب السيارة .

وذهبت لتقع سترة عليها ، وخرجت من باب المطبخ إلى الكاراج حيث

سيارة والدتها قرب سيارة والدها .

كان باب الكاراج يُفتح بواسطة زر من الداخل وبجهاز تحكم عن بعد من الخارج . وبينما هي تخرج السيارة وتتجه إلى الباب الأمامي ، شاهدته وأهلها يقفونه في المدخل . وكان يبدو أطول منهما يرتدي معطفاً واقياً من المطر ، وهو يصافحهما ويحييهما تحية المساء .

ومالت جانباً لتفتح له الباب ، وبعد ثوان كان يطوي نفسه ليجلس في المقعد إلى جانبها ، ويقفل الباب . لم تلاحظ من قبل كم تكون السيارة مكاناً حميماً عندما يشاركها فيها مع رجل بالكاد يستطيع إبعاد ساقيه الطويلين عن إعاقتها لاستخدام مقبض تغيير السرعة في السيارة ، ولكي يريح كتفيه ، جلس نصف مستدير وذراعه على المقعد خلفها ويده مرفوعة إلى السقف . وقالت بمرح :

ـ كان يجب أن أحضر سيارة والدي . فأنت ضخم جداً على سيارة «ميني» .

ـ ضخم على عدة أشياء . في أمكنة حيث الناس قصار قليلاً ، مثل إسبانيا أو أميركا الجنوبية ، إذا رغبت في أن أنام مرتاحاً يجب أن أعيش في غرفة بسريرين ، وأنا عليهما بالعرض . وإلاّ فسأعلّق قدماي على حافة السرير .

ـ أعتقد هذا .

وقال لها والسيارة تخرج من الباب .

ـ ماذا كنت تنوين سؤالي ؟

ـ لماذا أتيت إلى هنا شخصياً ، بدل الكتابة أو الإتصال بالهاتف ؟

ـ بدا لي أن اللياقة توجب عليّ أن أقدّم نفسي لذويك قبل أن آخذ ابنتهما الوحيدة بعيداً عن البيت جداً . واتضح لي فوراً أنك لم تذكري أمر الوظيفة

لهما . وهكذا ، ودون أن أكذب كذبة حقيقية ، قلت إننا التقينا عبر صديقة مشتركة ، ثم أخبرتهم عن جريدتي ، وكيف سمعت عنك من بوب وماغي ، وأنني أرغب في عرض وظيفة عليك . ألم تكن هذه أفضل طريقة لتسوية الأمر ؟

«أجل» وشرحت له أسباب إخفاء أمر المقابلة عنهما وأضافت «يبدو أنك سريع في فهم الأمور» .

ـ أظن أن لدي سمعة ما . وأظن أن كلانا لاحظ موجات تفكير أمك ، عندما سألتني إذا كان لديّ زوجة . لم تكوني بحاجة لأن تحرجي . إنه الإنعكاس الطبيعي للأمومة عندما يبرز رجل ضمن المدى المنظور . إنها زوجة مولعة ببيتها ، وتريد منك أن تحققي نفس الدور . هل كانت تعمل قبل الزواج ؟

ـ جدي كان طبيب أسنان ، وعملت معه في استقبال الزبائن لفترة ما . وهكذا التقت بوالدي ، عندما أتى إلى العيادة لفحص أسنانه .

ـ لو كان هناك رجل في حياتك ، لما قبلت بالذهاب إلى كومبوستيلا . أين يأتي الزواج في مخطط حياتك ؟

ـ أعتقد أن ذلك عندما أحب شخصاً يحبني . فأنا في الواحدة والعشرين ولست مستعجلة . هل أنت قلق من أن أفسخ عقدي معك ؟

ـ لا ، على الرغم من أنك لو فعلتِ سيكون من الصعب استبدالك دون انزعاج .

ووصلا إلى المحطة ، وسألها عن مواعيد القطار . وأخبرته أنه يجب ألا ينتظر عشر دقائق . وفتح نافذته ، لم تكن ليلة باردة ، وبدا أنه يميل للانتظار في السيارة على الرغم من ضيقها على ساقيه الطويلتين . وسألته سارة :

ـ متى ستعود إلى كومبوستيلا ؟

ـ هذا يتوقف على بعض الأمور . فأنا أعمل حالياً في قصة برنامج وثائقي كتبته أنا ورجل آخر . وهو موضوع قد يباع إلى أميركا وقد يربحنا الكثير من المال . لذا قد أبقى هنا عدة أسابيع أو شهر .

ولم يقترح عليها أن يتقابلا ثانية ، بل قال :

ـ أعتقد أنك ستبلغين بوب غداً أنك ستتركين عملك عنده ؟

ـ نعم .

ـ ومن الطبيعي أن المحررين الآخرين سيرغبون في معرفة المكان الذي ستذهبين إليه ، ولكنني أفضّل أن لا تذكّريني لهم . فلا أريد أي إعلان عن تقاعدي من التلفزيون . على كل ، وباستثناء بوب ، هناك جاك الذي كان يعمل معي هناك ، والباقي انضمّ للجريدة بعد تركي لها .

ـ حسن جداً ، لن أذكر اسمك .

ـ كومبوستيلا ليس فيها ملاريا أو لا حاجة لتقلقي حول التيفوئيد . ولكن من الأفضل أن تتلقي لقاحاً ضد الشلل . ولا تشتري الكثير من الثياب . ستجدين في المحلات في الجزيرة أنواعاً جذابة من الثياب أكثر من أي شيء في لندن .

وتساءلت ، كيف يعرف هذا . من الواضح أن امرأة ما أخبرته ، امرأة مهتمة بالأزياء .

ـ إذا كان لديك أي تساؤلات أو مشاكل ، تستطيعين الإتصال بسكرتيرتي .

كانت هذه آخر ملاحظة له قبل أن يخرج من السيارة وهو يقول : «عمت مساء يا سارة» ويربت على كتفها بغير مبالاة ويسحب ذراعه من خلفها . وبعد لحظات اختفى في مبنى المحطة .

وبينما كانت عائدة المسافة القصيرة إلى المنزل أخذت تتساءل عن

الدوافع الحقيقية لعدم رغبته في ذكر اسمه ، لأنه اعتقد ان هذا سيدفع جاك إلى قول بعض الملاحظات التي تحط من شأنه . لم تكن متأكدة من أن جاك يعرف شيئاً عن علاقة زوجته مع لايل قبل الزواج . كانت روز ماري قد وثقت بسارة في إحدى الليالي عندما كانت ستجلس مع أطفالهما ، ولكن في آخر لحظة مرض طفلهما ولم ترغب روز ماري بتركه . وبما أن المناسبة التي كانا سيحضرانها مهمة عمل . فجاك ، كان عليه الذهاب لوحده . وترك سارة برفقة زوجته . وفي تلك الأمسية ، بعدما نام الطفل ، وكانتا تتناولان العشاء ، أدارت روز ماري التلفزيون ، وعندما رأت وجه لايل على الشاشة أطفأته فوراً .

وعندما سألتها سارة عن سبب تصرفها ، أفضت إليها باعتراف دام ساعة ، سبّب لسارة خيبة أمل كما سبّب لروز ماري في ذلك الوقت ، عندما ، وفي أوج علاقتهما الغرامية ، غيّر لايل فجأة من نوع عمله وترك شقتها .

وحالما عادت سارة إلى المنزل بدأت أمها تتحدث عن وظيفتها الجديدة ، وهذا شيء متوقع . فقالت سارة :

ـ لقد ذهلت عندما وافقت .

ـ حسنا ، لقد علمت أنك مصممة أن لا تتزوجي رودي ، وبهذا لن يكون هناك أي إحراج لك عندما يتغلب على خيبة أمله ، إضافة إلى ذلك . . .

ونظرت السيدة غراهام إلى زوجها وتوقفت قبل أن تكمل كلامها .

ـ إضافة إلى ذلك ، أعرف كم كنت ترغبين في زيارة الجزيرة حيث ولد أبوك ، وقال إنك لو عملت هناك ، فقد يفكر بقضاء عطلة هناك .

وصرخت سارة بتعجب «أحقاً هذا يا أبي ؟» .

فقال وهو يبتسم لها «سنرى» .

ولاحظت بدهاء أنه خلال غيابها كان يتحدث مع والدتها وأن ما كانت

ستقوله السيدة غراهام ، هو أن فشل خطة تزويجها السابقة أصبحت أقل خيبة الآن ، بما أن شريكاً آخر قد برز على المسرح .

في الصباح التالي ، وهي في السيارة مع والدها في طريقهما إلى العمل . قالت له :

ـ ما رأيك بلايل يا أبي ؟ أعتقد أنه أعجبك وإلاّ لما وافقت على عملي معه .

ـ بالتأكيد لم أرى فيه أي شيء أبغضه . والسبب الرئيسي لموافقتي هو أنني أؤمن أن كل الشبان يحتاجون إلى فرد أجنحتهم لوحدهم لمدة سنة أو سنتين . والدتك ستفتقدك أكثر مني ، أنت وأنا أساس حياتها ، ولا أحب أن أراها غير سعيدة . ولكنني أيضاً لا أريد أن أراك مجبرة على زواج غير ملائم . فأنت ما زلت صغيرة جداً ، والزيجات المبكرة ، فيها نسبة أعلى من الفشل من تلك التي تتم بين أناس ناضجين أكثر .

ـ أبي ، لم أسألك من قبل أبداً ، على الرغم من أنني تحدثت مع أمي ، ولكن ما رأيك بالعلاقة قبل الزواج ؟ الجميع يفعلون ذلك هذه الأيام وأحياناً أتساءل عما إذا كان سيفوقني شيء ما .

ـ هذا سؤال صعب جداً على والد أن يجيب عليه . لا يوجد رجل يحب أن يفكر بابنته متورطة بأية علاقة أقل أمناً ودواماً من الزواج بشاب مستقر .

وتوقف السيد غراهام عن الكلام ليبطيء السيارة ليسمح لدراجة نارية آتية من أحد الشوارع الفرعية لتدخل إلى الشارع الرئيسي وأضاف :

ـ وبما أنني قلت هذا ، فأنا أعتقد أن أكثرية العلاقات والزيجات التجريبية ، تظهر رغبة للإستقرار والنضوج عند كلا الطرفين . وليس هناك كثير من الزيجات لا تنجح إذا بذله الطرفين ما بوسعهما لانجاحها . والأنانية هي الصخرة التي تتحطم عليها معظم الزيجات .

كان ازدحام السير يمضي بطيئاً حتى أنه استطاع أن يترك المقوّد يضغط على ذراعها بحنان . وتابع قوله :

ـ لا أعتقد أنك يجب أن تشعري بأن شيئاً ما يفوتك يا عزيزتي . ولكنني أتمنى أن تعرفي أنك مهما اخترت أن تفعلي في حياتك ، فأمك وأنا سنبقى دائماً على استعداد لتقديم المساعدة التي تحتاجينها ، وسنحبك بنفس القدر الذي أحببناك فيه دوماً .

وقالت له بتودد : «شكراً لك يا أبي» .

عندما وصلت إلى عملها ، وعند أول مزحة ، أخبرت بوب بأنها تريد ان تترك العمل . ولم يبدو عليه الدهشة كثيراً وقال لها :

ـ كنت أتساءل فيما لو كنت قد شاهدت ذلك الإعلان . سأكون آسفاً لخسارتك ، ولكنني في الحقيقة لم أكن أتوقع أن تبقي معنا مدة أطول يا سارة . إنها طبيعة معظم المحررين الشبان بأن يكون لديهم أقدام لا تستقر . شارع فليت كان دائماً هدفهم إلى أن وضع الكفاح الصناعي نصف المواطنين خارج أعمالهم ، وقدّم التلفزيون نوعاً جديداً من الصحافيين . أتذكر طموح لايل عندما كان شاباً . كان يصعد إلى القمة ، وقد وصلها . ولكن لأنه رجل سليم التفكير في أعماقه ، فقد اكتشف أن النجاح هو غالباً فخ ووهم . هناك أغنية تعطي هذا الإنطباع ، لا أتذكّر لحنها.ولكن قسماً من كلامها يقول : «الشهرة ، إذا كسبتها ، تأتي وتذهب في دقائق» . وهذا صحيح جداً ، وخاصة في التلفزيون .

ـ نعم أذكر تلك الأغنية إنها تقول : «ما هو الأفضل لتتعلق به ؟ شخص يحبك ، شخص واحد يحبك» ولكنني أظن أن لايل لم يستقر على هذا حتى الآن . وفي الواقع لم أسمع أية إشاعة أنه فعل ، أو أنه زير نساء .

وخلع بوب نظارته ونظّفها . كان يجلس خلف طاولته الكبيرة وعليها

مجموعة من المشابك منافض السجائر تثبت نسخاً من الجريدة تنتظر المراجعة ، ونسخ محضّرة للتجهيز وبروفات ثم ردّ على سارة :

ـ نعم أظنه كان كذلك . . ولكنني لا أعرف شيئاً عنه الآن . . وأستطيع أن أقول وأنا مطمئن ، إنه لن يزعجك بهذه الطريقة . إذا لم تشجّعيه . فهو لا يهوى غواية الفتيات الصغيرات .

ـ ولكنني لم أعد فتاة صغيرة في السابعة عشر .

وقال لها بخشونة :

ـ وهل بقي منهن أحد ؟

ثم ضحك وأردف :

ـ نعم أستطيع القول إنهن لا غير موجودات، ولكن المرء لا يسمع عنهن الكثير ، فمن يجذب الإهتمام هذه الأيام . . من الفتيات الوقحات في هذا العمر» وأعاد وضع نظارته «على كل ، أتمنى لك كل الخير يا سارة ، وأحسدك على الطقس الذي ينتظرك . والآن الأفضل لي ألا أعمل على نشر إعلان لبديلة عنك» .

ذلك المساء ، تركت المكتب لتجد رودي ينتظرها . وافتتح كلامه معها وهو يقف في طريقها قائلاً : «سارة ، أنا آسف . سامحيني لأنني كنت فظاً معك» .

ـ طبعاً أسامحك ، فقد كانت غلطتي أيضاً . لننس أن الأمر قد حدث . أترغب في هذا ؟

ـ هل أوصلك إلى البيت ؟ لقد أوقفت السيارة عند الزاوية .

ـ شكراً لك ، ولكنني لست ذاهبة إلى البيت ، سأعمل إلى وقت متأخر هذا المساء .

ـ إذاً سآخذك إلى حيث تذهبين .

- الإجتماع الذي سأحضره لن يبدأ قبل السابعة والنصف . وأنا الآن في طريقي إلى المكتبة العامة ، لأعمل على توسيع معلوماتي عن الجزيرة التي سأعمل فيها . لم أكن أعلم في تلك الليلة بعد ، ولكنني قُبلت للعمل في جريدة «كومبوستيلا اندينبدنت» .

وبدا عليه الإرتعاد «وأين تقع كومبوستيلا ؟» .

- أوه يا رودي ، معلوماتك الجغرافية رهيبة . إنها إحدى جزر ليوارد ، لا بد أنك سمعت بجزر الأنتيك ، انغويلا وسان كيتس ولو لم يكن عن كلها .

- لقد اعتقدت أن كومبوستيلا هي في إسبانيا .

- أنت تفكر بسانتياغو دو كومبوستيلا حيث كان يذهب الحجاج في القرون الوسطى . إنما كومبوستيلا التي أقصدها سُميت باسمها بعد أن اكتشف كولومبوس الجزيرة سنة ١٤٩٣ ، وبنفس الطريقة سُميت الانتيك باسم مادونا سيقيل سانتا ماريا لا انتيك .

- ولكنّ لما الذهاب والعمل في جزيرة خلف الأفق ؟ لا بد أنك مجنونة .

- إنها حيث وُلد والدي ، ووالده من قبله . إنها حيث جذوري موجودة .

- أوه . . لأجل السماء يا سارة . هذه سخافة . أنت تنتمين هنا ، معي .

انظري لا نستطيع الكلام هنا في الشارع . ما هذا الجوار القذر . . .

انظر بازدراء إلى امرأتين بدينتين من الانديز تمران بهما .

وقالت له سارة بلين :

- أنت متكبر يا رودي . لا يمكن للجميع أن يسكنوا في بيوت كبيرة فيها ملاعب تنس وكاراج لثلاث سيارات .

فتجاهل كلامها وقال : «أليس هناك مقهى لائق هنا ؟» .

وأدركت أنها لن تقدر على تجنب لقاء وجهاً لوجه معه ، فرافقته إلى محل

لتقديم الشاي هادىء قليلاً ، حيث جادلها لمدة ساعة واحتج وأذلّ نفسه على أمل اكتسابها مجدداً .

لم تكن سارة تريده أن يتوسل . وهي تستمع له ، لم تستطع إلّا أن تفكر بأن لايل لا يمكن له أن يتوسل لأجل الحب . فإما أن يجعل المرأة تحبه أو ، إذا لم يستطع ، لا يقول لها شيئاً عن مشاعره . سيمتنع بالتأكيد عن العروض المادية التي يتقدم بها رودي حول شراء سيارة خاصة لها . وحساب مفتوح في أحسن المحلات .

- أنا آسفة يا رودي ، أنا لست مستعدة للزواج بعد .

قالت هذا وهي تشعر أنه سيكون أقل إيلاماً من قولها له بقساوة ، أنا لا أحبك . وتابعت قولها :

- أنا أشعر بالإثارة الكبيرة حول هذه الوظيفة ، ولا شيء يمكن أن يغريني بالتخلي عن فرصة زيارة مثل هذا الجزء الجميل من العالم .

في اليوم التالي وصل عقد عملها : اتفاق للعمل مع لايل لمدة اثني عشر شهراً . ووقعته سارة وأعادته . ولم تعد تسمع شيئاً عنه إلى أن كانت ليلة من الأسبوع التالي ، عندما اتصل بها بينما كانت غير موجودة . وترك لها رسالة مع والدها :

- لقد دبّر لايل سفرك معه ستتوقفين ليلة في الانتيك ، وتنهين رحلتك في اليوم التالي ، وسيتولى هو كل الإجراءات ، سوف نرافقك إلى المطار ، وبعدها يتولى رعايتك بنفسه إلى أن تصلي إلى المنزل الذي ستعيشين فيه .

وقالت والدتها :

- إنه منزل مبشر ديني . . ولن تكون بين يديّ أفضل منه . تفكير سليم من لايل ليدبّر لك مثل هذا السكن الخالي من العيوب . ففتاة شابة لوحدها في مكان جديد قد لا تستطيع العناية بنفسها كثيراً .

وأمضت سارة طوال بعد الظهر وهي تتسوق . وعلى الرغم من إعجابها ببعض الملابس الشتوية ، إلاّ أنها سمعت نصيحة لايل ولم تشترِ الكثير من الملابس .

لقد وجدت أن سكناها مع رجل دين وعائلته أمر مربك ولكن ، ربما كان الأمر مؤقتاً .

بوب كان قد قال إن لايل ليس من النوع الذي يغوي الفتيات الصغيرات . ولكنها في الواحدة والعشرين ، وهي أكثر نمواً في مقاييس جسمها من أية واحدة في عمرها . والإغواء ينطوي على إجبار الفتاة على عمل رغم إرادتها . وهي لن تكون غير راغبة ، بل متشوقة لأن تحبه .

ولايل الآن لم يعد حلم يقظتها ، فالقدر ، أو الحظ ، رماهما معاً ، وحان الوقت لها لتتوقف عن التفكير المتحفظ ، ولتخوض الحياة بكل زخمها .

وإذا قُدّر للايل ، بقليل من التشجيع ، أن يعلّمها شيئاً من خبرته في الحياة . . فسوف تعطيه هذا التشجيع .

الفصل الثالث

كان ما سترتديه من ملابس ملائمة لرحلة في وسط الشتاء الإنكليزي إلى صيف المناطق الكاريبية الدائم يحتاج إلى التفكير بروية . وأخيراً قررت سارة : بما أنها ستذهب إلى مطار هيترو في سيارة والدها فالأفضل أن ترتدي بذلة خفيفة حمراء قرنفلية اشترتها في الربيع الماضي فقماشه لا يتجعد بسهولة وتنورته لها اتساع تدريجي إلى الخارج تعطي راحة أكثر من التنورة الضيقة في رحلة تستمر ثماني ساعات . تحت السترة سترتدي قميصاً حريرياً أحمر ، وستأخذ معها في حقيبة اليد قميصاً زهرياً بأكمام قصيرة لترتديه قبل الوصول مباشرة .

وعلى الرغم من أنها ترتدي ألواناً أخرى ، إلاّ أن المفضل لديها هو اللون الأحمر الغامق والزهري . بالنسبة لمظهرها ، الألوان الحيادية لا تناسبها ما عدا اللون البني الفاتح الذي يبرز جمال عينيها .

وبما ان تكاليف سفرها تشملها الإتفاقية ، فقد أدهشها أن لايل اختار السفر بالدرجة الأولى . وأوضحت لها سكرتيرته أنه دائماً يسافر في الدرجة الأولى في الرحلات الطويلة ، إذ يجد المقاعد في الدرجات الأخرى غير مريحة لرجل في حجمه .

ولهذا السبب ، سمح لها بزيادة وزن الشحن بحيث اختارت تشكيلة من أفضل كتبها ومسجلة وبعض الشرائط ، وأشياء مختلفة من غرفة نومها

لتساعدها على الشعور وكأنها في منزلها .

الليلة السابقة لسفرها ، كانت ليلة دون راحة . مجرد التفكير برحلة تدوم ثماني ساعات بالقرب من لايل جعلها تضطرب داخلياً من الإثارة والخوف .

في الصباح الباكر جداً من يوم سفرها غادرت سريرها لتتفحص أغراضها لآخر مرة . ما ستحمله من أغراض في يدها ، التي تحتوي على حقيبة فيها ، جواز السفر ، التذاكر ، شيكاتها السياحية ، رخصة القيادة ، ودفتر العناوين ، إضافة إلى آلة الطباعة اليابانية الصغيرة ، والحقيبة التي توزّعها شركة الطيران لمسافري الدرجة الأولى ، والتي وضعت فيها حذائين مريحين ، تلبسهما خلال السفر ، وقميصها الزهري ، وبعض أكياس الورق ، وفي حقيبة صغيرة مقفلة أدوات زينتها . والحقيبتان الكبيرتان كانتا جاهزتين ، وقد وضعت عليهما بطاقات التعريف منزلهم في «كاي» لم يكن المنزل الوحيد الذي تعرفه ، فقد انتقلوا للسكن فيه عندما كانت في السادسة ، وذكريات المنزل القديم كانت غامضة . وبينما هي تتطلع حولها إلى أشياء ألفتها ، والتي كانت تستيقظ كل صباح في الخمسة عشر سنة الأخيرة ، ما عدا العطلات في الخارج ، لتحدها من حولها ، ووجدت من الصعب عليها أن تكون في العز بعيدة ليس عن المنزل فقط بل عن والديها أيضاً .

خلال تناول الإفطار كانت أمها تبكي ، ومالت سارة ووالدها لان يكونا مرحين .

لم تكن المسافة بعيدة بين المنزل والمطار ، ولكنهم غادروا المنزل قبل وقت طويل احتساباً لعوائق غير متوقعة . كان لايل سيقابلهم في قاعة المسافرين . وعندما وصلوا لم يكن قد وصل بعد ، ووصل قبل دقيقتين أو ثلاثة من الموعد المحدد ، وكان هادئاً كشخص متعود على الرحيل عبر العالم .

وصافحهم ، وعلّق على الأنباء الصباحية مع والدها ، مظهراً عدم

ملاحظته لعيني والدتها الدامعتين ، ولكنه حدّق بتفاصيل مظهر سارة وهو يصافحها . وقال لها :

ـ أنا آسف لأنني لم أستطع التحدث معك بنفسي منذ لقاءنا الأخير يا سارة . ولكنني كنت مشغولاً جداً . أنت لم تتقدمي للتفتيش بعد كما أرى ، هل نذهب الآن ؟

وبعد وزن الحقائب وإيداعها الشحن ، قال لوالدها :

ـ الوداع الطويل يكون عادة أكثر إيلاماً من الوداع المختصر سيد غراهام . أعتقد أن عليّ وسارة أن نذهب إلى غرفة المسافرين الآن .

وداعاً سيدي ، ودائماً سيدة غراهام .

وهزّ لهما رأسه محيياً وذهب ، ليتركهما يودّعان ابنتهما دون أن يراقبهما .

الوداع كان مؤلماً لهم جميعاً . وانفجرت أمها بالبكاء ، واتخذ وجه أبيها وضع رجل إنكليزي يحاول إخفاء مشاعره العميقة . وأحسّت سارة بالإختناق . وتبادلوا العناق ، وتمتمة كلمات الوداع ، ثم قاد السيد غراهام زوجته الباكية نحو المخرج ، واستدارت سارة بالاتجاه الذي ذهب إليه لايل ، وعيناها مغرورقتان بالدموع .

وأعلن عنه مغادرة المسافرين عبر الباب رقم ٢٣ ، وسارا باتجاه الطائرة المنتظرة . وحمل لها لايل آلتها الكاتبة ووافق بين خطواته وخطواتها .

ووجدت أن ركاب الدرجة الأولى قد أدخلوا إلى قسم من مقدمة الطائرة . ما بين مقعدها ومقعد لايل كان هناك طاولة يُقدم عليها القهوة والمرطبات .

ولم يمض وقت طويل حتى ارتفعت الطائرة فوق السحاب ، الشمس ، والرفيق ، والراحة الزائدة للسفر في الدرجة الأولى تآمرت كلها لرفع معنويات سارة . والإكتئاب لمغادرة أهلها ، حلّ مكانها شعور بالإثارة لقيامها برحلة عبر

الأطلسي مع رجل جعلها تشعر بقوة بكونها أنثى .

وقال لها فجأة : «أنت تضعين عطراً مختلفاً اليوم ، هل هو هدية وداع من صديق ؟» .

وتركت السؤال دون جواب «كيف عرفت أنه عطر مختلف ؟» .

ـ لأنه ليس العطر الذي كنت تضعينه ليلة أوصلتيني إلى المحطة . ذلك العطر كان «ديوريمو» كما أعتقد أو زنبق الوادي . ما اسم هذا العطر ؟

ـ إنه عطر ايف سان لوران «اوبيوم» .

ـ لقد رأى أحدهم أنك أصبحت امرأة لا تقاوم ، كما أعتقد ؟

واحمرّت وجنتاها ، لن تعترف له أنها اشترته لنفسها في محاولة لخلق طابع متأنق لها .

ـ لا بد أنك تتمتع بحاسة شم حادة .

ـ هذا أمر مفيد . ولكنني أميز القليل من العطور . اربيج الذي كانت أمي تستخدمه دائماً ، وقام المفضل عند شقيقتي .

وقفزت فكرة إلى رأس سارة : وعطر ديوريمو ، الذي كان المفضل لدى أكثر صديقاتك .

وقال لها مقاطعاً أفكارها : «حكومة كومبوستيلا لديها خطة لمنع تحويل مزارع الجزيرة إلى خرائب أو خسارة ميزاتها . لذا فهي تؤجرها بإيجار أسمى لمستأجرين يتعهدون بالإبقاء عليها بحالة جيدة ، ولقد استأجرت مكاناً يدعى «ادمير الدهيل» .

اسمه جميل ، ولكن كم حجم المنزل ؟ منزل في مزرعة يبدو وكأنه قصر .

ـ إنه قصر صغير ، أجل . ولكنني لن أبقى أعزباً إلى الأبد . شقيقتي

راين تقول إن الوقت حان لأفكر بالزواج .

ـ وهل تفكر بالزواج ؟

ـ ليس في الوقت الحاضر ، على الرغم من أن «ادمير الدهيل» قد تفيده لمسة امرأة . ولكنني أستطيع القول إنني سأتمكن من الحصول على بعض المساعدة النسائية دون التفكير بأكثر . أو على الأقل حتى تقف الجريدة على قدميها .

بعد تناول الغداء ، غطّ لايل في النوم ليعوض عن قلة نومه في الليلة السابقة ، وأخذت هي تشاهد أحد الأفلام ، وعلى الرغم من أن الفيلم شدّ انتباهها إلاّ أنها كانت تتأمل وجهه بين الحين والآخر . وفجأة ، بعد أن طالت نظرتها إلى وجهه النائم أكثر مما قصدت ، لاحظت سيدة تنظر إليها وتبتسم . فأعادت سارة انتباهها إلى الفيلم .

وبقي لايل نائماً إلى أن بدأ طاقم المضيفات في الطائرة يوزع الشاي . في وقت بدأت الغيوم تتبدد ، ما عدا قليلاً منها كالقطن المندوف تنتشر هنا وهناك فوق المحيط الأزرق .

وذهب هو ليغتسل ، وذهبت هي لتغيّر قميصها .

ولكونه قام بالرحلة من قبل كان يعرف تماماً متى تستطيع إلقاء أول نظرة على الجزيرة حيث سيقضيان ليلتهما . وقال لها وهو يميل قريباً منها ليشير إلى أرض أصبحت ضمن مدى النظر : «هذه هي الأنتيك» .

من وصف والدها لكومبوستيلا ، كانت تتوقع أن تكون الجزيرة خضراء . ولكنها رأت الأنتيك من الجو بنية اللون وكأنها قاحلة . كانت تحسّ بالإثارة ليس بسبب رؤيتها أول جزيرة كاريبية ، ولكن بسبب نوع آخر من الإثارة ، لأنه كان ينظر من فوق كتفها ، واستطاعت أن تشعر بنفسه على أذنها عندما قال :

- إنها سنة جفاف في الأنتيك ، وعلى كلٍّ ، الأنتيك فيها منطقة خضراء واحدة فيها غابات أمطار . وما ترينه الآن هو منطقة «كاسي» حيث لا ينمو سوى العشب وشجيرات الأكاسيا . وكومبوستيلا هي شبيهة «بمونت سيرات» ، الكثير من الجبال والكثير من الاخضرار .

لم تكن سارة قد جرّبت من قبل لفحات الحر ، وبعد أن حطّت الطائرة أسرعا في مشيهما نحو مبنى المطار . وكان الحر أشد في الداخل . ومقاعد التاكسي البلاستيك كانت ستكون غير مريحة أبداً لولا أنها كانت محمية من الشمس بأغطية من قماش قطني .

ولم تكن المسافة بعيدة من المطار إلى الفندق ، حيث أرشدت هناك بعد تسجيل اسمهما ، إلى ناحية من الفندق بينما أرشد لايل إلى ناحية أخرى . وقبل أن يفترقا قال لها :

- أول شيء سنقوم به السباحة في البحر . سآتي إلى غرفتك بعد عشر دقائق .

كانت الستائر في غرفتها مغلقة ، وعندما فتحها الحمّال انكشف لها منظر مرجة خضراء تظللها أشجار النخيل يمتد عند حدودها شريط عريض من الرمال يحضن المياه التي هي بلون الزبرجد ، الأزرق المخضر . الاستغراق بالتحديق في المنظر جعلها تتأخر إلى أن أوشك لايل على الحضور ، فأسرعت لفتح حقيبتها التي تحوي ثوبي بيكيني للسباحة . أحدهما بأوراق خضراء على أرضية بيضاء والآخر مصنوع من قماش مطاطي بلون المشمس وله أربطة على الخصر . وارتدته وعلّقت ثياب سفرها . ثم وضعت بعض الأشياء في حقيبة الشاطىء ، وتابعت إخراج ثيابها من الحقيبة إلى أن سمعت لايل يدق الباب . ففتحته له ، وسألها : «هل أنت جاهزة ؟» وبسرعة جالت عيناه فيها ، ولم تقدر على منع نفسها من التحديث بتقاطيع جسمه الرياضي . كتفاه العريضان يتوافقان تماماً مع طول رقبته القوية العضلات ، وساقاه

القويتان النحيلتان . لم يكن يشبه الغوريلا كما يبدو بعض الرجال ، بل كان أشبه بالقطة الكبيرة أو النمر أو الفهد بخطواتهم الرشيقة وطريقة سيرهما الأنيقة .

وقالت له : «سأحضر حقيبتي ومنشفة» بعد ذلك أقفلت بابها وسارت معه نحو الطابق الأرضي . وسألها : «هل غرفتك مرضية ؟» .

- كثيراً ، شكراً لك ، وتطل على منظر جميل .

- أجل ، أظن أن هذا فندق جيد ، كما الأكثرية هنا . حتى الآن سكان الأنتيك متعقلون وقد تجنبوا الأبنية العالية التي شوّهت العديد من الأمكنة الجميلة .

وبينما هما يستديران عند زاوية التراس ويبدآن السير عبر الحديقة باتجاه البحر قال لها :

- تفادي التساؤلات قدر المستطاع طلبت أن تكون غرفتانا في أماكن منفصلة ، ولكن هناك إمكانية في أن يستنتج من يرانا معاً هنا استنتاج خاطىء ، فهل يزعجك هذا ؟

- لا يزعجني هذا .

وكان هذا صحيحاً . فهي قد لا يعجبها استنتاج ما عنها مع أي رجل ، ولكن ليس مع لايل . وأضافت قائلة :

- الكثير من الفتيات يكن مجبرات على السفر مع رب عملهن .

- هذا صحيح . بعض الفتيات الجذابات اللاتي ترينهن هنا مع رجال أكبر منهن هن مضيفات طيران ، في توقفهن للراحة مع طاقم الطائرة من الرجال .

وشاهدا فراشين للتشمس غير مشغولين تحت ظل شجرة نخل . وتوجها نحوهما . وبينما هما يسيران كان معظم الناس ينظرون إليهما نظرة الزبائن

القدامى للواصلين الجدد . وبعضهم ابتسم وحياهما . ومشيا جنباً إلى جنب نحو البحر ، ولكن عندما بدأا السباحة سبقها في بضع ضربات من يديه . وتباطأت في سباحتها لتراقبه وهو يخوض البحر ونصف رأسه الأسود تحت الماء ، وذراعاه تلمعان في الشمس وهما ترتفعان وتهبطان بحركات متوازنة لسبّاح ماهر .

ووبخت نفسها على سخافتها . فهو ليس لها لتفتخر به . وليس ملكاً لأية امرأة ، وربما لن يكون أبداً ، حتى ولو أنه تكلم وكأن الزواج ممكناً إذا نجحت الصحيفة ، وإذا قرّر الإستقرار في الجزيرة بشكل دائم .

وتوقفت عن السباحة ، وعن مراقبته ، واستلقت فوق الماء وذراعاها مفتوحتان . كأن فوقها بضع غيمات بيضاء صغيرة ، تشبه تلك التي لاحظتها من الطائرة ، تطير عبر السماء الزرقاء ، تدفعها الرياح الخفيفة التي تهب من الأطلسي الواسع وتبرّد الجزيرة .

وعاد لايل وكان يسبح على بضع أقدام منها عندما قال لها :

ـ هذا أفضل من ساعات الجري وراء العمل في لندن ، أو في أي مدينة كبيرة أخرى ، ألا توافقين ؟

ـ إنها مثالية . ولكن كم من سكان الجزيرة يتمتعون بهذا ؟

أليست هذه الشواطىء للسياح عادة ؟

ـ ليس هناك شواطىء خاصة هنا ولا في كومبوستيلا ، وقبل وبعد ساعات العمل وأيام الآحاد والأعياد العامة تشاهدين العديد من المحليين يشاركون الشواطىء مع الزوار . وليس الجيل القديم بالطبع . ولو أنه أحياناً تأتي سيدة كبيرة في السن لتسبح بينما تبقى عينها على أحفادها .

وبقيا في الماء الدافىء الصافي حوالي نصف ساعة إلى أن قال : «قد حان وقت تناول المرطبات» وقبل أن يصلا إلى مقهى الفندق سألها : «هل

تشعرين بعدم الراحة في ثياب البحر ؟ هل ترغبين في الذهاب إلى غرفتك لتغيري ملابسك قبل أن نتناول الشراب ؟» وهزت رأسها قائلة : «في هذا الحر سيجفّ ثوب السباحة في عشر دقائق» .

وجلست على أحد المقاعد المرتفعة بينما كان الساقي يحضر مزيجاً من عصير الحامض والبرتقال ، والأناناس والرمان الأحمر ، وبعض من شراب محلي . وصبّ المزيج فوق عدة مكعبات من الثلج في كأس ورشّ فوقها قليل من جوز الطيب قبل أن يقدّمها لهما .

وقال لها وهو يرفع كأسه بالتحية : «في صحة علاقة صحافية لطيفة» وردّت عليه : «لعلاقة لطيفة» وهي تعني علاقتهما الشخصية والعملية .

وكأنما قرأ أفكارها فقال : «عملياً أنت لم تصبحي موظفة رسمية عندي حتى الثامنة من صباح الاثنين . واتفاقنا لم ير فعله بعد» .

لماذا ذكّرها بهذا الواقع ؟ ويتطلع إليها بهذا التعبير المبهم ؟

وأغمضت عينيها ورفعت القشة إلى شفتيها لتتذوق الشراب المنعش البارد . وقالت :

ـ لا زلت غير مصدقة بأنني هنا . لقد كان انتقالاً سريعاً من الشتاء إلى الصيف ، ومن حياتي القديمة إلى حياة جديدة . أنا لست متعودة على التغيير مثلك . لقد كنت أعيش في ما يشبه الحفرة .

ـ أنا متعود على التغيير ، بشكل لا أعرف إذا كان بإمكاني الإستقرار في مكان واحد . وقد أجد نفسي قلقاً .

وتقدم منهما زوجان ، وجلس الرجل بالقرب من لايل . وبعد طلب مشروبهما قال : «مرحباً ! لا بد أنكما وصلتما حديثاً ، كما أعتقد . أنا ج . ك نيدستورم من جزيرة روداسليذ ، وهذه زوجتي شارلين» .

وصافحه لايل وعرّف بنفسه «وهذه سارة غراهام . والآنسة غراهام وأنا

سنمضي ليلة واحدة هنا فقط . فنحن في طريقنا من لندن إلى كومبوستيلا ، ولكن ليس لقضاء عطلة ، فنحن زميلا عمل . أنتما في عطلتكما أتصور ؟» . واستمر الحديث إلى أن أنهت سارة شرابها وقالت : «سأذهب إلى غرفتي لأغتسل» وقال لايل : «سنتناول العشاء حالما يفتح المطعم ، سألقاك عند السابعة . لا لزوم لارتداء ثياب سهرة» .

وهزّت رأسها وقالت لشارلين : «سأراك فيما بعد ، كما أتوقع» وابتسمت ل . ج . ك وابتعدت عنهم ، وسمعت لايل يطلب شراباً آخر . هل كان يؤكد لآل ليندستورم ، عندما أكّد على موعد اللقاء في المقهى ، أنهما لا يجمعهما سوى زمالة العمل ؟ كان صعباً عليها أن تكون متأكدة من نوعية تصرفه تجاهها . أحياناً يتصرف وكأنها فتاة صغيرة مسؤول عنها بنسبة معينة . وأحياناً يبدو أنه يلمّح إلى أنها يجب أن لا تعتقد أنها آمنة معه ، لذلك لم تكن واثقة من موقفها معه .

حالما خرجت من الحمام ، ولفّت نفسها بمنشفة ، دق جرس الهاتف ، في غرفة النوم ، وأسرعت لتردّ ظناً منها أنه لايل ، وقال لها صوت غير مألوف : «مكالمتك مع لندن حاضرة آنسة غراهام ، تفضلي بالتحدث» .

وسمعت صوت أمها «سارة ؟ هل هذه أنت يا عزيزتي ؟ كنا نفكّر بالإتصال بك . ولكن لم نرغب في أن تظني أننا قلقان عليك . ولكنني سعيدة جداً لاتصالك بنا يا حبيبتي . كيف كانت رحلتك ؟» .

- رائعة يا أمي ، ممتعة جداً . لقد كنت أسبح لتوي .

وبينما كانت تتبادل الحديث معهما ، أدركت أن لايل هو الذي طلب لها المخابرة . كانت ستجريها بنفسها ، ولكنها لم تفعل لأنها عرفت أنه سيكتشف الأمر عندما يدفع فاتورة الفندق ، وقد يعتقد أنه تصرّف فتاة قد حنّت إلى موطنها .

عمله هذا كان له أهمية عندها ، أكثر أهمية من مشاعر والديها . وهذا هو

ما يجب أن تشعر به أية فتاة تحبّ رجلاً ، ولكنها أحسّت أن من الغباء أن يتملكها مثل هذا الشعور عندما يكون الحب من جانب واحد .

ثم ارتدت ثوباً أصفر فاتح ، بعد أن دهنت بشرتها بمرهم منعش ، وأكملت طلاء أظافرها ، ووضعت أقراطها بشكل فراشة ، وسلسلة تحمل حرف اسمها الأول . عندما وصلت إلى المقهى لم يكن هناك ، وكانت أول الواصلين .

يُقدم العشاء هناك حتى التاسعة والنصف ، ومعظم الناس لا يتناولون عشاءهم قبل الثامنة . وبدلاً من أن تجلس لوحدها ذهبت لتتفرج على واجهة البوتيك في الفندق . ولم يكن مفتوحاً في ذلك الوقت ، ولكن معظم الأشياء المصروفة ، كانت ظاهرة عبر الباب الزجاجي .

كانت ترفع رأسها لتقرأ سعر قرط معروض في الواجهة عندما سمعت صوت امرأة تقول لها : «مساء الخير» والتفتت لتجد إحدى المسافرات معها تقف إلى جانبها ، كانت تلك المرأة التي راقبتها وهي تتأمل لايل عندما كان نائماً في الطائرة .

وتبادلتا الحديث لبضع دقائق حول الرحلة والفندق ، وبعدها ، وفي اللحظة التي وصل فيها لايل قالت المرأة : «لا أستطيع التفكير بأجمل من هذا المكان لقضاء شهر العسل . سمعت أن هناك بعض الشواطىء الصغيرة حيث يكون الإنسان فيها منعزلاً تماماً . هل استأجرتما أنت وزوجك سيارة هنا ؟» .

وقالت لها سارة عندما كان لايل ينضم إليهما : «السيد تالبوت ليس زوجي . أنا سارة غراهام . . يا سيدة . . .» .

- بيرنت . . لوارا بيرنت . كيف حالك سيد تالبوت ؟

من الواضح أنها لم تتعرف عليه ، وذلك بسبب أنها وزوجها بالرغم من أنهما انكليزيين ، كانا يعيشان في إسبانيا ، بعد قضاءهما عمرهما في

مركزمهم في الخدمة الدبلوماسية ، ثم أضافت المرأة موجهة حديثها لسارة :

ـ أنا آسفة ، لا أعرف لماذا افترضت أنكما في شهر العسل . ربما لأنني وزوجي نقوم بهذا الآن ، لقد تزوجنا خلال الحرب العالمية الثانية ، وقضينا شهر العسل لأسبوع في فندق قرب القاعدة التي كانت يعمل فيها . ونحن الآن نحتفل بالعيد الأربعين لزواجنا ، مع كل الأشياء التي فاتتنا . لماذا لا تنضمان إلينا عند تناول العشاء ؟

اقترحت السيدة بيرنت هذا بجبور بعد أن انضم إليهم زوجها . وفي الوقت الذي كانوا يتناولون فيه القهوة كان جسدها يقاوم الرغبة في أن يأوي إلى الفراش في الوقت الذي اعتاد عليه .

ولم يكن يبدو لا على آل بيرنت ولا على لايل التعب . وقال لها لايل بعد أن لاحظ أنها تتثاءب :

ـ لقد حان وقت نومك على ما أعتقد يا سارة .

والتفتت للسيدة بيرنت وقالت : «عذراً ؟ أخشى أنني لن أستطيع البقاء صاحياً أكثر من هذا» .

ـ طبعاً يا عزيزتي . اذهبي ونامي جيداً ، سنراك عند الإفطار .

ونهض الرجلان عندما وقفت لتذهب . وقبل أن تغيب سمعت السيدة بيرنت تقول : «كم هي فتاة ساحرة» .

ونامت حتى الرابعة صباحاً ، وظلّت مستلقية لمدة ساعة إلى أن لم تعد تتحمل الكسل أكثر ، وتحركت بهدوء حتى لا تزعج أحد ، وبدأت تفرغ حقيبة ملابسها .

وكان ثوب النوم في الحقيبة التي لم تفتحها بعد . لقد أخفته عن أمها حتى لا تتساءل لماذا اشترته وهي عادة ترتدي أثواب نوم أقل كلفة منه . لذا فلم تكن قد جربته ، فأخرجته من الحقيبة وأسقطته من فوق رأسها على

جسدها ، وشعرت بنعومة القماش الشيفون المشمشي اللون بخفة أجنحة الفراشة فوق ثنايا جسدها الفتي الغض .

كل حوافيه كانت مربوطة بأشرطة ساتان مشمشية وتحول شكله إلى حرف V بشكل رائع . ولكن شفافية القماش هي التي جعلت من الثوب يبدو مغرياً . رقة الحرير الصافي جعلت من الثوب حول تقاطيع جسدها يوحي بكل شيء ما عدا أنها لا زالت بريئة .

www.rewity.com سرور ية

الفصل الرابع

عندما ظهر ضوء الصباح ذهبت إلى البحر لتسبح . في البداية كان الشاطىء خالياً ، ولكن لم يمض وقت طويل في الماء حتى أقبل لايل لينضم إليها . وغطس في الماء عند الشاطىء ولم يخرج حتى وصل إليها وقال :

ـ متى استيقظت صباحاً ؟

ـ حوالي الرابعة . لماذا استيقظت أنت باكراً ؟ ظننت أنك سهرت مع آل بيرنت .

لقد سهرنا . ولكنني حضّرت جرس الساعة ليدق باكراً . فأنا أحب هذه الساعة من النهار هنا ، قبل شروق الشمس مباشرة . هل نسبح على طول الشاطىء ثم نعود سيراً .

ـ طالما لا تتوقع مني اللحاق بك سباحة .

ـ تستطيعين اللحاق بي ، لو كنت تضعين في رجليك ما يساعدك على السباحة . عندما وصلا إلى الطرف الآخر من الخليج تذكرت فجأة المخابرة مع أهلها .

وقالت له : «كان يجب أن أشكرك قبل الآن لطلبك المخابرة لي مع لندن . كان هذا لطف منك» .

ـ لقد شعرت أن هذا قد يطمئن والدتك بأن تتحدث بضع كلمات مع حملها المدلل . فهي التي ستفتقدك أكثر .

ولم يعجبها ، وهي في الواحدة والعشرين أن يصفها بالحمل المدلل ، ثم تذكرت أنه مرة ذكر والدته بصيغة الماضي فسألته : «هل والداك ما زالا على قيد الحياة ؟» .

ـ لقد ماتا منذ بضع سنوات .

لهجته حملت شيئاً من عدم التشجيع ، وكأنه لا يأبه بالأسئلة الشخصية . وشعرت وكأنها حُدّث . بالأمس فقط كان قد تطوع بإعطائها بعض المعلومات عن شقيقتها ، راين .

بحلول هذا الوقت كانت الشمس قد أشرقت ، ولكن دفئها كان ناعماً على بشرتها ، وأخذ البحر يلمع ويتلألأ تحت أشعتها ، وبدأ النسيم بتحريك سعف النخيل وأشجار جوز الهند وكانت لحظة من أجمل لحظات العمر : لحظة تنطبع في الذاكرة .

وسألته : «هل أمير الدهيل قريبة من البحر» .

ـ أجل ، فهي مبنية فوق صخن مرتفع ما بين مغارتين . في الماضي ، قبل اختراع المراوح الكهربائية والمكيفات ، كانت المنازل تُبنى دائماً للإستفادة من كل نسمة ، وعادة على أراضٍ مرتفعة في الجزيرة ، أما الآن فالجيل الجديد والسياح يرغبون في العيش أقرب ما يمكن من الشاطىء .

طوال فترة تناولهما طعام الإفطار كانت تحيط بهما العصافير التي سمعت عنها من والدها : طيور سوداء لماعة الريش عصافير الحب الصفراء الصدر ، والحمام البري ، وطائر طنان أخضر قائم واحد . وبما أنها شعرت بالجوع حذت حذو لايل وتناولت الإفطار الذي يقدّمه الفندق كاملاً ، بدلاً من تناول عصير الفاكهة وبعض البسكويت كعادتها .

وبحلول الساعة التاسعة كانا في طريقهما إلى المطار للرحلة التي تستغرق خمسة عشر دقيقة إلى كومبوستيلا على متن طائرة خطوط ليورد

الجوية ، التي بدت صغيرة جداً بالمقارنة مع الجامبو التي استقلاها عبر الأطلسي في اليوم السابق . كان المطار في كومبوستيلا أصغر والإجراءات مختصرة . وعندما تحلق حولهما سائقي التاكسي هز رأسه وقال : «لا شكراً فلدينا وسيلة انتقال خاصة» . . .

وقاد سارة ، والحمال يتبعهما بالحقائب إلى صف من السيارات متوقف تحت ظل الأشجار . وبينما هما يقتربان فُتح باب إحدى السيارات وخرج السائق منها . وكانت أجمل فتاة وقعت أنظار سارة عليها حتى الآن ، وكانت تبتسم للايل وكأن رؤيته قد جلبت لها السرور بقدر ما جلبت له رؤيتها .

ـ مرحباً فاشتي . كيف حالك ؟

ولكون سارة بعيدة بضع خطوات عنه ، لم تستطع رؤية الانطباع على وجهه عندما أخذ يد الفتاة بين يديه مسلماً . وجاء صوتها ناعماً رخيماً وهي تجيبه : «أنا بخير ، شكراً لك يا لايل . أنا سعيدة برؤيتك ثانية» .

ـ فاشتي ، هذه سارة غراهام . فاشتي هي سكرتيرتي .

ومدّت المخلوقة الجميلة يدها قائلة : «كيف حالك آنسة غراهام» .

كانت ترتدي ثياباً بسيطة : بلوزة بيضاء وتنورة سوداء ، وحزام أسود وأبيض على خصرها . من الواضح ، أن عدة أصول عرقية قد توالفت لتنتج شكلها الرائع غير العادي : امرأة في الهند وحدها لديها مثل هذا الشعر الكثيف الأسود اللماع ، وقد أرجعت شعرها متموجاً إلى الخلف لتثبّته بشكل كعكة في مؤخرة عنقها . عيناها السوداوان الناعستان فيهما انحراف إلى الأعلى مع الجفن يشير إلى بعض الوراثة الصينية ، لون بشرتها الخالية من العيب كان اللون الذهبي الأسمر الغامق الناتج عن اختلاط الدم الأسود بالدم الأبيض ، وينجاوز أي سمرة مرغوبة أو أي لون أفتح أو أغمق للجلد البشري .

ومن المستحيل لأية امرأة أن تقابلها دون أن تشعر بالنقص أمام كمالها . وفي نفس الوقت ، دون أن تفتن بها .

ـ كيف حالك آنسة . . .

وتطلعت سارة إلى لايل متسائلة ، وكان قد نسي أن يذكر اسم هذه الفاتنة الأخير . وسارعت الفتاة للقول :

ـ فاشتي سافكما ، ولكن أرجوك ناديني فاشتي ، هل أستطيع أن أدعوك سارة ؟

ـ بالطبع .

وكان الحمّال ينتظر ان يفتح له صندوق السيارة ، وتحركت فاشتي لتفتحه ، ثم مدّت يدها بالمفاتيح بينها وبين لايل قائلة :

ـ هل تقود السيارة إلى المدينة أم أقودها أنا ؟

ـ قودي أنت وسأجلس في المقعد الخلفي ، وأدلّ سارة على ما نمرّ به من معالم .

ودفع أجرة الحمال ، وانتظر الفتاتان لتصعدا في المقعد الأمامي من السيارة قبل أن يصعد في المقعد الخلفي .

في الطريق ، لاحظت سارة أن شعرها القصير ، على الرغم من أنه عملي ، لا يمكن مقارنته أنثوياً مع شعر فاشتي الطويل الحريري ، والذي قد يبلغ خصرها عندما تسدله بعد يوم عملها ، مع أن «الشنيون» ولو أنه أفضل من الشعر الطويل في ساعات العمل ، إلاّ أنه كان رائعاً . وفي ثنايا ربطة شعرها الحريرية السوداء والزرقاء ثبتت بعض الذهور البيضاء كل واحدة منها فيها بقعة صفراء في وسطها .

كم كانت غبية عندما اعتقدت أنها لن يكون لها منافس على لايل . ولكن المنافسة مع فاشتي غير عادلة . ليس من رجل يستطيع النظر إلى غيرها خلال

وجودها ، وخاصة لايل . جمالها جمال استثنائي ، بحيث أنه من المذهل أن تتواجد في مكان صغير مثل كومبوستيلا . وقد يتوقع المرء أن يجد منتجو الأفلاك العالمية يتهافتون عليها ، أو تصبح عارضة أزياء عالمية .

وانحنى لايل ليريح ساعديه على المقعد الأمامي حيث تجلس الفتاتان . وأخذ يشير إلى الأماكن المختلفة ، وحاولت سارة أن تستمع بانتباه .

محطات التلفزيون ، ومصافي البترول ، كانت جديدة ، منذ أن كان والدها هنا ، وما عدا ذلك لم يبدو أن الجزيرة تغيرت كثيراً . معظم السكان لا زالوا يعيشون في بيوت صغيرة مبنية من الخشب المدهون بالأصفر ، والأزرق الفاتح واللون الزهري المفضل لدى سارة .

العاصمة تدعى «سانت جايمس» على اسم قديس مدفون هناك . اما اسم كومبوستيلا فقد أخذ عن اسم لاتيني «كامبوس ستيلا» ويعني حقل الأبطال ، نسبة لبطل من القرن التاسع ، دُفن في إسبانيا بعد استشهاده في فلسطين .

العاصمة «سانت جايمس» أيام والدها كانت بلدة صغيرة هادئة لا تزدحم إلاّ أيام السبت عندما يحضر القرويون لبيع منتوجاتهم في السوق . منذ ذلك الوقت توسعت العاصمة ، وازدحمت شوارعها بالمارة . وقال لها لايل وهم يمرون في وسط البلد متجهين نحو الضاحية الجنوبية :

ـ سنأخذك رأساً إلى المنزل الذي ستسكنين فيه ، وبمقدورك أن تمضي بقية اليوم باستكشاف ما حولك والراحة . وغداً سأقيم حفلة غداء في ادمير الدهيل ، حيث ستلتقين بزملائك وآخرين ممن لهم علاقة بالانديبندانت .

وأخيراً ، توقفت فاشتي في شارع كل بيوته من طابق واحد لها حدائق مسيجة ، ومواقف سيارات أو كاراجات ، خارج بيت كانت امرأة تجلس تحت شرفة مسقوفة . وتقدّمت نحو الممشى لتقابلهم ، وابتسامة ودية على وجهها .

وقبل أن يعرّفها لايل بهما قالت المرأة بحرارة :

ـ أنا سوزان شاريون يا عزيزتي ، أهلاً بك في منزلنا ، سنعمل ما بوسعنا من أجل راحتك .

ـ شكراً لك ، كم أنت لطيفة . . .

سأرافق الآنسة غراهام إلى غرفتها ، بينما تحضران لها الحقائب ، يا سيد تالبوت . أم هل أناديك سارة ، بما أنك في عمر أصغر نباتي . السيد تالبوت قال لي كل شيء عنك .

الغرفة التي كانت ستسكن فيها سارة كانت نظيفة وفرشها مريح ، على الرغم من افتقارها للديكور مثل غرفتها في منزلها .

عندما انضم إليهما لايل مع الحقائب قالت له السيدة شاريون :

ـ هل أقدّم لك وللشابة الأخرى فنجان قهوة سيد تالبوت ؟

ـ لا شكراً . لا يجب أن نتأخر . فلدينا أعمال كثيرة . سأراك غداً في منزلي يا سارة . سوف تحضر فاشتي لاصطحابك حوالي العاشرة . احضري معك ثوب السباحة وواحد آخر إذا كان لديك ، سنسبح طوال النهار .

بالرغم من أن العائلة الكاريبية لديها ثلاث بنات ، إلاّ أنهن لا يعشن في المنزل ، فالفتاتان الأكبر سناً متزوجات ، والصغرى تعمل في مكتب سياحة كومبوستيلا في لندن . والسكان الحاليون في البيت هم القس جورج شاريون وزوجته ، ووالدته المسنة ، وابنهما المراهق ميشال .

عند المساء ، وبعد أن تناول خمستهم طعاماً شهياً ، ساعدت سارة السيدة شاريون في غسل الصحون ، وذهبت باكرة إلى فراشها . وأقفلت باب غرفتها وتنهدت براحة لأنها أصبحت لوحدها . وكالعديد من الفتيات من قبلها وجدت الإستقرار مقلقاً . كانت المرأة المسنّة صمّاء ، والولد معقد ويتلعثم في حضور الغرباء . والداه تحدثا إليها دون توقف لاظهار حسن ضيافتهم لها .

وشعرت بأنها منهكة ، وكئيبة ، وبحنين لا يحتمل لمنزلها في «كيو» ولحياتها فيه .

مرة أخرى استيقظت باكراً جداً ، بينما كان الآخرين . لا زالوا نائمين . ولحسن الحظ كانت الستائر تغطي نافذتها حتى إذا أضاءت النور لا تظهر في الخارج . ولمدة ساعة قرأت كتاباً مفضلاً لديها ، ثم عادت للنوم واستيقظت في الصباح بمزاج يختلف عن مزاج الليلة الماضية الكئيب ، وشعرت بأنها عادت إلى طبيعتها ، وعلى استعداد لأن تستفيد إلى أقصى حد من وضعها الحالي .

إنها الآن على جزيرة جميلة ، ولديها وظيفة مهمة لتصرف فيها طاقتها ، وربما ستلتقي هنا بالرجل الذي أشارت إليه صديقتها مازحة باسم «السيد المناسب» . وسيكون من سخرية الحياة أن تنجرف مع «السيد الخطأ» إلى نهاية سعيدة .

وتبين لها عند العاشرة أن فاشتي ليست هي من ستصاحبها ، بل شاب له وجه جميل من سكان البلاد قدّم لها نفسه باسم جيف كلوفر وهو أحد زملاءها في التحرير .

وتعارفا خلال عشر دقائق . جيف كان قد تعلم مهنته من العمل في العديد من الصحف ، ومؤخراً في إذاعة محلية . ويستطيع أن يعمل كمحرر أو مساعد رئيس تحرير . ولم يكن متزوجاً ويعيش في غرفة مؤجرة ضمن منزل ، مثلها ، مع فارق واحد هو أن صاحبة المنزلة أرملة تذهب إلى عملها ولا تحضر الطعام للمستأجرين . وقال لها :

ـ أتناول طعامي في الخارج ، وهذا مكلف جداً ، ولكن هذا يعطيني حرية أكبر . فالنساء يغضبن إذا انتظرن على الطعام ، وفي مهنتنا ، ليس من الممكن دائماً أن يذهب المرء إلى المنزل في الوقت المحدد .

بعد قليل بدأت السيارة تسلك طريق موعرة على حافتيها بعض

الأعشاب ؛ فقال لها :

ـ هذه هي الطريق نحو الشاطىء باتجاه أمير الدهيل . لايل ليس معزولاً كما تظنين . فلديه كهرباء وهاتف .

وأشار إلى الأعمدة التي تحمل الأسلاك وأضاف :

ـ ما قد أحبه ، غرفة في منزله . إنه كبير كفاية لنعيش فيه كلنا ، كنوع من الشراكة .

ـ ألا تظن أن هذا قد يقود إلى صداقات ، العمل معاً والعيش معاً ؟

ـ لا أرى سبباً للصدام . انتظري حتى تري المنزل . وأنا أكيد أنك ستفضّلينه على منزل آل شاريون .

ووصلا إلى بوابة كبيرة فمتوحة على مصراعيها لتسمح لسيارة جيف الصغيرة بالمرور إلى ممر أخضر مقيم صفان من الأشجار أعضانهما متدلية . وعندما عادا للظهور في أشعة الشمس ، كانا قد وصلا إلى فسحة من الأعشاب أمام منزل قديم من الحجر من طابقين له شرفات في الطابق العلوي والطابق السفلي لها سياج جديدي مدهون باللون الأبيض .

وأوقف جيف السيارة في ظل شجرة قديمة ، وسارا فوق العشب إلى باب في درابزين الشرفة السفلية . ولم يكن عليها شيء من الأثاث كما لم يكن هناك شيء في الردهة التي تقود عبر باب مفتوح إلى أخرى في آخر المنزل .

وقال جيف ، باشارة إلى عدة سيارات متوقفة في الخارج :

ـ أتوقع ان يكون الجميع على التراس .

وهو يتكلم سمعا صوت ضحكات آتية من مكان ما وراء الباب الخلفي . وبعد لحظات خرجا إلى تراس كبير مرصوف بالحجارة . جزء منه تظلله أشجار نمت في الفسحات ما بين الأحجار . وكان يجلس هناك بعض المدعوين لحفلة الغداء ومعهم مضيفهم الطويل الأسمر البشرة يرتدي شورتاً

أبيض .

ـ أهلاً يا جيف ، صباح الخير يا سارة كيف أنت ؟ كيف كانت أول ليلة لك في كومبوستيلا ؟

ـ صباح الخير ، كانت ليلتي مريحة شكرا لك .

لقد عرفت الآن عدم جدوى كل الحلول التي فكرت بها قبل الإفطار . فمن يكون هناك أي رجل آخر طالما كان لايل جزءاً من حياتها ، حتى ولو لم يهتم بها إلاّ كعضوة من موظفيه .

ـ تعالي لأقدمك للآخرين .

وامسك بذراعها فوق الكوع وبدأ يقول لها الأسماء .

ـ رأي ، رئيس المحررين وزوجته هيستر . . تيرـ وكليف ، وهما من يطبعان ما تكتبيه ، وهذا جيمي أصغر عضو بيننا .

ووقف الثلاثة ، وآخرهم في أواخر عمر المراهقة وصافحوها .

وقالت لها فاشتي ، وقد بدت أجمل من يوم أمس ، وهي ترتدي بلوزة زرقاء فاتحة معقودة فوق بيكيني أبيض ، وشعرها مفرود حتى خصرها :

ـ مرحباً سارة ، لقد طلبت من جيف ان يصطحبك لانني أتيت مبكرة لأعمل مدة ساعتين .

لم يبدو عليها انها كانت تعمل . ولم تقدر إلاّ ان تتساءل عما إذا كانت الحقيقة ان لايل وهي هما حبيبان اضافة لكونهما زميلين ، وقد أقنعها بقضاء الليل معه ، واتصل بجيف ليصطحبها .

ولم تعجبها الفكرة ، ولا أعجبت بنفسها للتفكير بها ، فابتسمت ، وصمتت الا تكون ودودة مع الجميع . ولم يكن الأمر صعباً ، لان شخصية الفتاة الأخرى مرضية كما هو مظهرها تماماً ، وبدت هادئة ومدركة تماماً لجمالها ، تصرفاتها كانت لفتاة لطيفة غير متأثرة بشيء تميل إلى الجلوس

بهدوء بينما يتكلم الآخرون ، بدل ان تتوقع ان تسلط عليها الأضواء كما تفعل العديد من الجميلات .

من كلا جانبي التراس كانت الطريق تقود نحو الشاطىء ، أحدهما على شكل انحناءه القمر والآخر يمتد نصف ميل من الرمال الزهرية الفاتحة ، مع ظلال يبعد خمسين ياردا عن الشاطىء تشير إلى وجود صخور غير منظورة من هنا .

وقال لايل للوافدين الجديدين : «سنشرب القهوة ثم نذهب للسباحة ، سأذهب إلى المطبخ لأرى إذا كانت ايمي تحتاج لمساعدة» .

وعاد بعد خمسة دقائق ، يحمل صينية عليها أباريق وأكواب وصحون ، وبرفقته امرأة قدمها على انها زوجة تيد ، ايمي .

وضمنت سارة ان كليف ليس متزوجاً ، وأكد لها ، الإهتمام الذي أولاه لها هو وجيف ، وقلة اهتمامهما الظاهرة بفاشتي رغم جاذبيتها المثيرة ، انهما يعلمان أن الفتاة الأخرى هي ملك للايل ، ولا فائدة لهما في ملاحقتها .

حوالي الساعة الثانية ، تناولا طعاماً محضراً في غرفة الطعام الكبيرة المبردة بالمراوح ، حيث الأثاث فيها يتكون من لوحين خشبيين ممدودين على صندوقي شاي والكراسي هي تلك التي كانوا يجلسون عليها في التراس .

بعد ذلك سأل لايل سارة إذا كانت تحب ان يريها باقي المنزل ، وقبلت بشوق ظانة ان فاشتي سوف ترافقهما ، ولكن الفتاة بقيت حيث هي تتحدث إلى ايمي ، بينما ذهبا إلى الطابق العلوي . كان في المنزل عشر غرف نوم ، ستة منها تطل على البحر . وأربعة تطل على الفناء ، ما بينها غرف ملابس وخزائن ثابتة واسعة كان ينوي لايل ان يحولها إلى حمامات .

كان ينام في الغرفة الوحيدة المفروشة بفرشها الأصلي في المنزل : سرير ضخم له أربعة عواميد عليها قماش لرد البرغش . ورفوف مرتجلة للكتب لها

ألواح مدعومة بأحجار قرميد ، وطاولة مطبخ قديمة يستخدمها كمكتب .

وسألته وهما يقفان على الشرفة المواجهة للبحر في غرفته :

ـ هذا المنزل يحتاج إلى أثاث والعديد من الأثريات هل بامكانك شراء أي منها هنا ؟

ـ سليزمني الكثير من التفتيش ولكنني أظن ان أول شيء يجب ان أعمله ، دهن البيت ، وآمل ان تساعدوني صباحاً بهذه المهمة .

ـ سأكون سعيدة بمساعدتك . انه مكان قديم جميل ، وسيكون من المثير للإهتمام رؤيته يعود إلى منجده القديم تدريجياً . عندما ترتبه سيكون واجداً من أجمل المنازل في الانديز .

وفكرت تقول في نفسها : مع واحدة من أجمل بنات الكاريبي لتكون سيدته ، هذا إذا تزوجتها .

وسألها فجأة : «ما بك ؟ هل تشعرين بالحنين إلى البيت ؟» .

ـ لا لم أكن أفكر بالبيت .

ـ إذاً لماذا هذه النظرة الحزينة ؟

وأجابته وهي غير صادقة : «أنا . . أنا . . لا أعرف ، لم أكن أفكر بأفكار حزينة» ثم استدارت عن الدرابزين وقالت : «أنت لم تريني بعد ، بقية الطابق الأرضي» .

غرفة الإستقبال كانت شبيهة بقاعة رقص صغيرة، بأبواب مرتفعة ومزدوجة تنفتح على التراس . وهناك كانت توجد قطع فنية أصلية ! شمعدانات فضية ، لها قمة زجاجية على شكل زنبقة ، وينوي لايل ان يحولها للاستخدام بالكهرباء .

القسم الوحيد الذي لم يعجب سارة من المنزل كان جناح المطبخ . فقد ذكرها بان من كان يشغل هذا البيت في الأيام الخوالي تمتعوا بحياتهم الفاتنة

والمريحة على حساب الخادمات اللواتي كدحن في هذا المكان المسود من الدخان لنفس الساعات التي استعبد فيها أبناءهم من الرجال في الحقول .

وعندما ذكرت هذا للايل هز كتفيه وقال : «نفس الشيء ينطبق على كل البيوتات الكبيرة في انكلترا . والبيض الذين يشعرون بعقدة الذنب حول الاستعباد يميلون لنسيان ان كان هناك ملايين المستعبدين البيض في أوروبا . ولم يكونوا يدعون عبيداً ، ولكنهم كانوا كذلك عملياً . لقد تحدثت مع نساء كبار في السن في انكلترا ، كن قد ذهبن بعد تعليم بسيط إلى خدمة المنازل في أوائل هذا العصر . وكان عليهن ان يستفقن عند الخامسة صباحاً في أيام الشتاء الباردة ، للتنظيف واشعال النار بينما أصحاب البيت نائمون . وهم يستحقون شفقتنا أيضاً .

وصدمتها مدى إنسانيته . كان يمائل والدها في هذا المجال . وتابع يقول :

ـ لم أذكر هذا إلى الآخرين بعد ، ولكنني أفكر في عرض غرف لاقامتهم هنا . ليس على المدى الدائم ، ولكن للسنة الأولى من عمر الجديدة . تيد وايمي يدفعان ايجاراً باهظاً لمكان غير مفروش بشكل جيد ، ولكنهما لا يستطيعان شراء منزل خاص لهما حتى يؤمنا مستقبلهما أولاً . وكليف وجيف وجيمي يعيشون في غرف مؤجرة ، وسيكونوا مرتاحين أكثر هنا .

ـ عقد ذكر جيف ، بينما كنا في طريقنا إلى هنا ، كم يحب ان يحصل على غرفة هنا . ولكنني أعتقد ان هذا قد يسبب المشاكل .

ـ لقد فكرت في هذا أيضاً . ولكن ليس هناك مشكلة لا تحل بالإرادة الطيبة والتفكير السليم . أو من قبل الشخص المسؤول ، أنا . ليس كطاغية مستبد ولكن في الوقت نفسه لست سهلاً . فالاندنبدنت ستكون عمل فريق متجانس ، وكل فريق يحتاج لقائد ليفرض السلطة عند الحاجة .

ـ هل هذا تحذير مبطن ؟ وهل شك ان لي نزعة ضد الخضوع ؟ فضحك

وقال دولا ، لا أظن انك ستسبب لي أي مشكلة يا سارة ماري جان .

لا بد انه رأس اسمها الثاني والثالث عندما جرى تفحص جواز سفرها في مكتب الهجرة في الانتيك . واستخدامه للثلاثة أسماء جعلها تشعر انها أكبر سناً بحوالي خمسة عشر سنة .

ومالت لاعطاء رد استفزازي ، ولكنها تذكرت فاشتي . فقد اعتقدت على الدوام انه من الدناءة ان تعتدي على ممتلكات الفتيات الأخريات . فلو ان الوضع معكوس ، وكانت هي الجميلة وفاشتي هي الفتاة العادية ، لكانت ترفعت عن العبث معه إلاّ إذا كان حراً وغير مرتبط . وهكذا قالت له فقط :

- إلى ماذا يشير حرف «ر» في اسمك؟

- إلى اسم والدي ريتشارد . لقد قتل هو وأمي عندما كان يقود طائرته الخاصة وتعطل المحرك . ولكنني لم أرغب ان أذكر هذا لك يوم كنا قادمين إلى هنا في طائرة صغيرة .

- أوه . . إذاً هذا هو السبب بانك . . .

- بانني بدوت فظاً ؟ أجل فظ جداً بالنسبة لشخص له مثل حساسيتك . استطعت ان الاحظ بانك شعرت بانني صديقك . فأنت لا تجيدين اخفاء مشاعرك .

كانت عيناه ساخرتان وهو يقول هذا ولهجته فيها مزاح لطيف ، مرة أخرى وكأنها لا تزال صغيرة السن جداً .

- ربما يكون هذا صحيحاً . ولكن لا حاجة بك لان تظن بانني حساسة جداً لدرجة انني سأمرض إذا وبختني في المكتب . فبوب كان يهوج ويموج عندما كان يريد . فكل إنسان لديه زلات لسان في بعض المناسبات ، حتى أنا . ربما بدوت وكانني من النوع الباكي عندما ودعت والداي ، ولكن كصحافية أنا قاسية جداً ، أؤكد لك هذا .

- أجل لاحظت هذا ، فأنت في طريقك لان تصبحي مثل أحد الصحافيين المخضرمين في شارع فلّيت أيام كنت أنا هناك كمحرر صغير . هيا بنا ، لقد حان وقت السباحة .

ووضع يده بلطف على كتفها وقادها إلى داخل المنزل لينضما إلى الباقين .

ذلك المساء كتبت رسالة لوالديها ، مستخدمة حقيبة الكتابة الجلدية الحمراء التي قدمها لها بوب وزملاءها المحررين . ثم كتبت رسالة لصديقتها ليز قالت فيها : «كان يمكن لي ان أحصل على موعدين هذه الليلة ، فقد عرض علي جيف وكليف كل بدوره ان أخرج معهما للعشاء . ولكن السيدة شاربون كانت تتوقع مني ان أتناول الطعام في المنزل ولا زلت أيضاً لم أتخلص بعد من تخلفي» ولم تكتب كثيراً عن لايل ، لانها لا تريد ان تعترف ، حتى إلى ليز ، انها بالنسبة للحب ، وصلت إلى مرحلة كمن يطارد الأوز البري .

* * *

الشهر الأول لسارة في كومبوستيلا مر بسرعة مذهلة . وكان لايل يتوقع ان يبتاع الاصدار الأول والثاني من الصحيفة بسرعة . ولكن المبيعات على المدى الطويل والإعلانات اضافة حجم جهد التحرير ، هو الذي سيحافظ في النهاية على دوران عجلة الاندنبدنت ويحافظ عليها حية ومزهرة . وفي هذا الجانب من المشروع كان لديه مساعد هو مدير ملهم مثابر للإعلانات .

كان اسمه تيرانس كيليران ، يدل على ايرلندي . مهنته لم تكن في الصحافة ولكن في وكالات الإعلان بما فيها وكالة نيويوركية كبيرة ، وكان قد التقى بلايل عندما حذره طبيبه ، من ان بعض الإضطرابات الصحية السابقة لأوانها ستسبب له الموت في الاربعينات من عمره إذا لم يغير نمط حياته . وقال لسارة في أحد الأيام بلهجة مبالغ فيها : «وهكذا أتيت إلى هذه البلدة

ذات الحصان الواحد ، وتوقفت عن التدخين ، والشرب ، ولكن ليلغني الله إذا تخليت عن النساء الجميلات» .

كان في عمر لايل تقريباً ، وكان مطلقاً ويدعى انه شيطان نساء . وشعرت سارة ان هذا الادعاء ليس إلاّ شعاع قمر ، ولكنه ذكرها بملاحظة قالها لايل حول الذئاب المحلية وهي تحوم حول الفريسة . ولكن ، لا جيف ولا كليف ، على الرغم من انهما يحاولان دائماً ان يتواعدا معها ، لم يكونا بمظهر ذئاب كما كان يقصد ، ولم تظن أبداً ان تيرانس هو سيء للدرجة التي يحب ان يظهر بها . وكان قد باع منزله في نيويورك ، وفتش عن منزل يشتريه هنا ، ولكنه قرر ان يشتري مركباً يعيش فيه . وكان أيام الآحاد يجربه نحو أمير الدهيل ليرى كيف تسير أعمال الدهان . وكانت سارة تمضي معظم أوقات فراغها وفرشاة الدهان في يدها ، كما الآخرون ، باهتمام كامل بهذا المنزل .

ولم يكن العمل محلاً بوجود البحر في متناول يدهم في أي وقت شعروا فيه بحاجة للراحة . وكان براد لايل الكبير ملىء بالمرطبات وأبريق كبير من عصير الأناناس .

كان لديها دافع مزدوج . فقد كانت تتمتع بالمساعدة على اصلاح المنزل ، وكانت سعيدة لوجود عذر لعدم مشاركة إلى شاربون الوجبة المسائية . وليس السبب ان سوزان لا تجيد الطبخ ، ولكن السبب هو ان ألوان الطعام الذي تقدمه يضمن البوانة وهي لا تريد ان يزداد وزنها .

في احدى الأمسيات كانت تعمل في المنزل عندما انقطعت الكهرباء لم يكن هذا بهمها لولا انها كانت وحدها ، والباقين لا يزالون في الجريدة ، وكانت تتوقع ان ينضم واحد منهم على الأقل إليها قبل الغروب .

حتى عندما عم الظلام لم تكن قلقة من عزلتها إلى ان انقطعت الكهرباء وأصبحت الغرفة الت تدهنها في الطابق العلوي شديدة الظلام . ولم يكن هناك ضوء قمر لان الطقس كان ينذر بالمطر .

وتذكرت ان لايل قد ذكر ان هناك عدة شمعدانات وشموع في الخزانات الترقي الردهة . ولكن الوصول إليها يتطلب منها تلمس طريقها إلى الممر ، ومن ثم نزولاً على السلم وعبر الردهة . وفجأة بدا لها المنزل القديم مرعباً ومعزولاً عند نهاية الطريق المغطاة بالشجر . على بعد نصف ميل من الطريق ، وميلين عن أقرب قرية .

وصرفت ذهنها عن التفكير بعدد الناس الذين ماتوا هنا خلال المائتي سنة منذ بناءه ، وعن القصص الخرافية التي سمعتها حول الأموات والأرواح المضطربة لمن عاش هنا حياة شريرة أو تلقى ميتة عنيفة . وأجبرت سارة نفسها ان تجد طريقها إلى الباب بالتحرك على الحائط وهي تتلمسه بأصابعها .

وفي الوقت الذي استطاعت فيه الوصول إلى درابزين السلم . كانت أعصابها قد أصبحت مشدودة بشعور مرعب بانها في أية لحظة قد تسمع صراخاً غير عادي يصدر من أي مكان من البناء الفارغ ، أو انها ستشعر بالهواء البارد الذي قيل لها انه اشارة لقرب وصول أحد جثث الأموات إليها . ولن يكون وضعها أفضل لو انها حصلت على شمعة مضاءة . فالضوء المتقطع الذي سيصدر عنها ، والشعور بانها مراقبة من شيء ما يختبىء في العتمة ، قد يكون أسوأ من وقع الظلام الدامس عليها .

وبعبث فيها سماع صوت سيارة تقترب موجة من الإرتياح . من هو القادم ؟ لايل أم كليف ؟ أو ربما تيد وايمي ومعهما هيستر ؟

لم تكن سارة تهتم من هو القادم طالما يكون إنساناً آخر وليس واحد من الموجودات غير الطبيعية التي شعرت بوجودها بالقرب منها قبل دقائق .

وبدلاً من الذهاب إلى الخزانة تلمست طريقها نحو الباب الخارجي . وعندما فتحت الباب أنارت أضواء السيارة واجهة المنزل . وتوقفت وأضواءها

مسلطة على الباب بحيث انها لم تستطع رؤية سيارة من هذه أو كم من الأشخاص في داخلها .

ثم ظهر طيف لايل وتحرك أمام السيارة والنور مسلط عليه لعدة ثواني قبل ان يصبح صورة مظللة وهو يسير باتجاهها .

ـ ألم تجدي الشموع ؟

ـ كنت في طريق إلى الخزانة عندما سمعتك قادماً . كنت في الطابق العلوي عندما انقطعت الكهرباء . وأمضيت وقتاً لأجد طريقي إلى الطابق السفلي .

وسألها بحدة : «وهل أنت لوحدك هنا ؟» وأجابت : «نعم» .

ـ ألم تخافي ؟

ـ لا ، ولماذا أخاف ؟

كان يصعد السلم إلى الشرفة ، وكانت تقف على الجانب الأيمن من الباب المزدوج الدرفات . والدرفة اليسرى مثبتة في مكانها ، وفي العتمة من وراءها ، تحرك شيء وأصدر صوتاً قوياً . وأصدرت سارة شهقة مختنقة ورمت بنفسها بين ذراعي لايل .

وأطبقت ذراعاه حولها ، قوية وآمنة . وبعد لحظة قال :

ـ انه مجرد سلطعان بري ضخم . ولا بد انه كان محتجزاً لفترة طويلة ، انظري ها هو يذهب ، انه غير مؤذي تماماً .

وسمعت صوت مخالبه تضرب الأرض ، ونظرت إلى المخلوق ذو العينين الغريبتين ، الذي لحق بها خارجاً من الباب ، وهو يشق طريقه ، متراجعاً بشكل جانبي . وارتجفت وهي تتعلق بقميص لايل . وقال لها مداعباً : «إذا أنت لم تكوني خائفة ، هه ؟ يا مسكينة أنا آسف على هذا ، لو كنت أعلم انك لوحدك هنا لأتيت قبل حلول الظلام» .

وتمتمت قائلة وهي خجلة من خوفها : «كنت متوترة الأعصاب فقط» .

ـ أنت ترتجفين وكانك مذعورة . أم ان السبب وجودك بين ذراعي .

لو تمكنت ، لسحبت نفسها من بين ذراعيه ، ولكن ذراعها كانتا مشدودتان حولها .

ورفع دقنها بيده الأخرى وسألها :

ـ هل أنت خائفة مني يا سارة ؟

ـ طبعاً لا ، يا لايل . . . أرجوك . . . اتركني .

ـ بعد لحظة . . .

وخشن صوته ، وشد ذراعاه عليها وضمها إليه بقوة .

* * *

الفصـــل الخامـــس

ألف مرة ، أيام مراهقتها ، تخيلت نفسها وهي بين ذراعيه . ولكن لم تكن كلها كما الواقع . كان عناقه حاراً ولطيفاً وكانها طفلة صغيرة بين يديه . ويجب عليه الحذر معها .

ومع ذلك شعرت بنفس ما اعترى رودي في آخر مرة أوصلها إلى البيت . نفس الخفق الفجائي في قلبه ، ونفس ردة الفعل العنيفة لعضلات ذراعيه الضخمتين القويتين وهو يضغط عليها . عاطفة رودي تفجرت بشكل سيء مما جعلها تشمئز منه ، بينما عاطفة لايل كانت مكبوتة ومسيطر عليها . حتى انه أرخى قبضته عنها قليلاً حتى لا تشعر بالاحراج . كان راغباً بها ، تماماً كما ترغب به . وارتجف جسدها . ثم وفجأة انتهى الأمر . وسمعته يقول بصوت أجش : «أحدهم قادم» . ثم حملها وتحرك بضع خطوات إلى الداخل . واختبئا في الظلام من أضواء سيارته والسيارة القادمة ، وأوقفها إلى الحائط قبل ان يتركها . وأحست بالراحة لاسناد نفسها على الحائط إلى ان تتمالك نفسها .

وسمعت السيارة تتوقف ، ثم بعض الأصوات . وعلمت انها ليست مستعدة بعد لان تواجه الناس ، ولكن أين تستطيع الاختباء إلى ان تسترد أنفاسها ، وإلى ان تتوقف عن الارتجاف .

في تلك اللحظة حدث أمران . في الناحية الأخرى من الردهة أشعل

لايل عود ثقاب لاشعال الشمعة ، وفي نفس الوقت تقريباً ، عاد التيار الكهربائي . وصرخ الوافدون فرحين عندما شاهدوا الأضواء تشع في الطابق العلوي .

وكالنحس الذي يعيش في الحديقة وأصابه الذعر ، أسرع لايل نحو الباب وهربت سارة صاعدة السلالم إلى فوق ودخلت إلى أحد الحمامات الجديدة وأقفلت الباب وراءها وأخذت تستمع إلى الأصوات الصادرة من الردهة . وكان الحديث يصل إليها عبر المنزل الخالي بعد من الأثاث .

ـ مرحباً لايل . لقد كانت الأضواء مطفأة في القرية ونحن نعبرها لذا عرفنا انك ستكون في ظلام هنا كم مضى عليك والكهرباء مقطوعة ؟

ـ ليس كثيراً . . لقد وصلت لتوى . .

ـ سيارة سارة في الخارج . كم مضى عليها هنا ؟

ـ لست متأكداً . ساعة أو ساعتين ربما .

وسمعت صوت ايمي تقول :

ـ وهل كانت لوحدها عندما انقطع التيار ؟ ألم تخاف ؟

أنا كنت سأخاف لو كنت هنا .

وسمعت تيد يقول لزوجته :

سارة فتاة ذكية . وهي لا تؤمن بتلك السخافة عن قيام الأموات مثلك .

واحتجت قائلة : «أنا لا أؤمن بها ، وهناك أرواح في انكلترا كما يقول الرهبان والناس العديمي العقول . وأنا متأكدة انك لا تحب ان تمضي ليلة هنا دون أضواء .

ـ لايل نيام وحده هنا .

وساد صمت ، جعلها تتذكر شخصاً كانت نسيته وهي بين ذراعي لايل :

فاشتي . طوال الوقت وهي بين ذراعيه لم تذكر بالفتاة التي تملكه ، ان لم يكن رسمياً فمبدئياً . وهل كان الصمت في الطابق السفلي عائد إلى انهم يعرفون ان لايل لا يمضي الليالي وحده بل مع فاشتي .

وذهبت إلى المغسلة لتبلل يديها ، حتى إذا صعد أحدهم سيظن انها كانت في الحمام . وعكست المرآة وجهها ، وعكس وجهها الاضطراب الذي كان يعتمر في داخلها .

وعندما صعد هيستر وايمي كانت سارة قد عادت إلى العمل تدهن أحد حوافي الجدار . وعندما غادر الآخرون إلى منازلهم غادرت معهم وعند الوداع تصرفت هي وليل دكان شيئاً لم يحدث بينهما .

في الليلة التالية كان لديهما مهمة ، وفي التي تلت خرجت مع جيف للرقص في أحد الفنادق ، وفي الثالثة بقيت في المنزل ، لتكتب رسالة طويلة لأهلها وتنهي قراءة قصة استعارتها من تيرانس كيلكران .

وفي الصباح الذي تلا ذهبت إلى مكتبه لتعيد له الكتاب . وعلى بضع خطوات من الباب ، الذي كان مواربا ، سمعت صوتاً لم تميزه فوراً . وفي اللحظة التالية فتح الباب وخرجت فاشتي منه بسرعة ووجهها الذهبي أحمر كفير عادته وعيناها السوداوان تلمع من الانزعاج . وعندما رأت سارة توقفت فجأة ثم قالت : «الرجال !» وتنفست بغضب واربتعدت بسرعة .

وحدقت بها وهي تنسحب ، وعرفت سارة ان الصوت الذي سمعته كان صوت صفعة راحة يد فاشتي على وجه تيرانس . وقررت ان اللحظة غير مناسبة لاعادة الكتاب إليه . وفيما بعد ، تأملت الحادثة ، وتساءلت عما إذا كانت فاشتي ستبلغ لايل بما فعل معها تيرانس .

خلال النهار قدمت فاشتي إلى غرفة المحررين لتقول : «لايل يود رؤيتك في مكتبه يا سارة» . وكانت هذه أول مرة يرسل في طلبها بعد ما حدث بينهما

تلك الليلة ، وشعرت بشيء من التخوف وهي تسرع في طريقها إلى الطابق الأول نحو مكتبه .

- تفضلي بالدخول يا سارة ، واقفلي الباب ، لو سمحت .

كان يكتب وهو يتكلم ، ولم ينظر إليها فوراً . في مكتبه يعفي نفسه من الوقوف عندما تدخل عليه الموظفات عكس أي مكان آخر .

تعليماته لها باقفال الباب زاد من ارتعاشها . عادة يبقى الباب مفتوحاً ، واقفاله هو اشارة لرغبته بعدم الازعاج ويعني ان لديه شخص من خارج المكتب .

- اجلسي أرجوك . لن أبقيك منتظرة لمدة طويلة .

واستمر عدة ثواني لينهي ما كان يقوم به من عمل قبل ان يضع قلمه من يده ويستوي في مقعده . بعد نصف دقيقة كاملة من انعام النظر فيها مفكراً غيرت جلستها في الكرسي إلى الناحية الأخرى من الطاولة .

- هل هناك خطأ ما في تغطيتي لمشروع عيادة الأطفال الجديدة ؟

- لا ، كالعادة ، مقالتك خالية من الأخطاء . هل سنراك الليلة في منزلي ؟

- أنا . . . لا أظن هذا . ليس الليلة .

- هل لديك موعد . ربما ؟

- لا ، ولكن لدي . . . أشياء أعملها .

ودفع كرسيه إلى الوراء ووقف ، واستدار نحوها وجلس على حافة الطاولة بقربها وذراعه مكتفان ، وهو ينظر إليها .

- أنت غير مجبرة على المساعدة . لقد قمت بخدمات جلى حتى الآن . ولكن أظن انني لاحظت نوعاً من الإضطراب في تصرفاتك قد يكون صلة

بآخر مرة كنت فيها في أمير الدهيل ، هل أنت خائفة من ان أعانقك ثانية ؟

ـ أنا . . أنا . . لست خائفة ، ولكنني لا أرغب في هذا ثانية .

ـ لقد بدا لي انك كنت مرتاحة يومها .

ودفعتها السخرية في ابتسامته إلى الغضب وقالت :

ـ وندمت عليها منذ ذلك الوقت ! إذا لم يكن لديك وخز ضمير فأنا أشعر به . لانني أحب فاشتي . وبصراحة لا أستطيع فهم لماذا تحتاج لعلاقة رخيصة أخرى وأنت تحتفظ بواحدة مثلها تحت تصرفك . في الواقع ان لا تستأهلها .

والآن لو تأذن لي بالانصراف . . .

ولكن بينما هي تستعد لتقف وتخرج من الغرفة ، قال بصوت هادىء وفولاذي : «اجلسي مكانك يا سارة . لم أنهي كلامي بعد» .

وحدقت به وفمها مضموم تمرداً . ولكنها لم تجرؤ على تحدي ذلك الأمر الصارم بان تبقى حيث هي .

ـ أنا متأكد انك لم تعملي مع بوب دون ان تسمعيه يكرر قانوناً يقول : التعليق حر ، ولكن الوقائع مقدسة . كما أتصور انك أيضاً سمعتيه يهدر قائلاً : «أنت لم تتأكد من الوقائع يا ولد» . وهو يخاطب مراسلاً جديداً . لذا فأنا مندهش من ان التأكد ليس طبيعة ثابتة عندك ، في حياتك الخاصة ، كما في حياتك العملية .

ـ ماذا تعني ؟

ـ يبدو انك تحت تأثير انطباع بان فاشتي هي أكثر من مجرد سكرتيرة لي . أي أساس لك لمثل هذا الإفتراض ؟

وتذكرت أول نظرة لها لجمال فاشتي ، وابتسامتها المشرقة عندما قالت له

انها سعيدة بعودته . فقالت متلعثمة :

ـ أنا . . بدا ذلك واضحاً ، هي جميلة جداً . . و . . . أنت . . . .

ـ أنا ماذا ؟ أنا رجل لا تثقين به كثيراً كما هو واضح .

وقبل ان تجيب تابع كلامه :

ـ فاشتي مخطوبة لشب يتدرب على العمل الفندقي في منتجع في فلوريدا . والخطوبة ليست رسمية بعد لان عائلتها لا توافق عليه . فهم عائلة ثرية من التجار لعدة أجيال وهو ابن سائق تاكسي . وعليها ان تتغلب على الكثير من مظاهر الاعجاب غير المرغوبة لديها لانها ، كما قلت ، جميلة . ولكن اهتمامها محصور بستيفن . وإذا لم تصدقيني اسأليها .

وحدقت سارة به ، وقد ارتبط لسانها . وأدركت الآن ان ليس لديها أي دليل محسوس لدعم استنتاجها . انه مجرد استنتاج مبني فقط على ما قالته لها روز ماري ، وشعورها بانه رجل قد يتلاعب دائماً مع الفتيات الجذابات ضمن دائرته وبانه ينجح تسع مرات من أصل عشرة لانه هو نفسه جذاب بطريقة غير عادية . وتابع قوله :

ـ على كل ، هناك سبب وجيه ، لعدم وجوب ان أحضنك في تلك الليلة ، وهو واقع اننا نعمل معاً ، ولكنني ظننت ان ذلك لن يزعجك ، وإلاّ لما لما تواعدتي مع جيف في المدة الأخيرة .

ـ لم يكن موعدي معه موعداً غرامياً . فكلانا غريب هنا ، ونعيش في غرف مؤجرة ، وكلانا نحب الرقص . فنحن إذاً زميلان يمضيان السهرة مع بعضهما ، ولم يحاول مرة ان يضمني .

ـ إلاّ انه يرغب في ذلك ، وستواجهين المشاكل إذا لم تكوني حذرة . انه شاب لطيف ، ولكن ليس مناسباً لك .

ورفعت ذقنها بكبرياء وقالت : «وكيف تعرف هذا ؟» .

ـ لو كنت منجذبة إلى جيف لما عانقتني بالطريقة التي تمت بيننا . إلاّ إذا كنت تحبي ان تفعلي هذا مع كل الرجال . وهذا ما أشك فيه كثيراً .

ودق جرس الهاتف ، ومد يده إلى السماعة وقال لها : «اعذريني» ثم تابع في السماعة «هنا لايل تالبوت» .

ومضت بضع ثواني وعيناه مثبتتان عليها ، وهو يستمع ، ثم قال : «مهلاً لحظة ، أتسمح ؟» وغطى السماعة بيده وقال لسارة : «ستكون هذه مكالمة طويلة . سنتحدث فيما بعد ، اذهبي الآن يا سارة» .

وعادت إلى مكتبها ، ولكنها لم تستأنف الكتابة حول بوتيك جديد لصفحة المرأة ، بل جلست تحدق بمفاتيح آلتها الكاتبة ، وهي تشعر بارتياح غريب لان فاشتي ليست فتاة لايل كما كانت تظن .

ومرت عدة أيام ، وعادت سارة لتمضية أمسياتها في أمير الدهيل في أي وقت لم تكن تعمل فيه . وعلى الرغم من انها كانت ترى بيل كثيراً إلاّ انها لم تكن معه لوحدها أبداً ، لا في العمل ولا في المنزل . لذا فان حديثهما في المكتب لم يعاد . ومضى الأسبوع ، ومضت نهاية الأسبوع ، وأقبل أسبوع جديد ، وزادت حيرتها .

في أحد الأيام ، ذهبت إلى القرية لتجري مقابلة مع أكبر المسنين عمراً في الجزيرة . كانت سيدة عجوز اسمها السيدة رود ولف . وبعدها روت لها تاريخ حياتها ، وما مرت به الجزيرة من تغييرات ، في الخمسين سنة الأخيرة . ولاحظت سارة ان هناك غرفة مبنية حديثاً على نفس طراز المنزل ، كما لاحظت ان فيها كنزاً لا يقدر بثمن . كان كناية عن «بوفيه» من خشب الماغوني يعود إلى القرن الثامن عشر ، وقد بقي سليماً بأعجوبة ، وهو رائع تماماً لغرفة الطعام في أمير الدهيل .

ولم يكن لايل في المكتب ساعة عادت ، وفي المساء لم تذهب إلى

منزله لانها كنت تغطي أنباء أحد الإجتماعات .

في الصحف الأسبوعية ، لا لزوم لكتابة المقال عن العمل الليلي فوراً ، ما عدا الليلة التي تسبق يوم الطباعة . ولكن لان سارة تسكن في مكان ليس ببعيد عن المكتب ، وما زالت غير مرتاحة بين آل شاربون ، كانت تتعود عادة إلى مبنى الصحيفة بعد انهاء عملها المسائي في الخارج .

كانت لا تزال هناك والساعة العاشرة والنصف . وهذا وقت متأخر في سانت جايمس وهي بلدة يميل الناس فيها إلى النوم باكراً ، ما عدا مطعمين يرتادهما السياح وبضعة أماكن رقص يرتادها الشبان .

كل موظفي التحرير لديهم مفاتيح المكتب ، وعندما سمعت سارة وقع اقدام على السلم ، ظنت ان القادم راي ، الذي كان يؤدي مهمة ليلية هو الآخر . ولكنها فوجئت بلايل يدخل غرفة التحرير ، ودهش لرؤيتها هناك بدل رؤيته لرئيس المحررين .

ـ أنت تعملين لوقت متأخر يا سارة ، لماذا ؟

ـ لقد كنت أكتب مقابلتي مع السيدة رودولف . لايل لديها أجمل «بوفيه» رأيته في حياتي ولا تستعمله . انه قطعة فنية بطراز «شيراتون» بأطراف دقيقة . . . عميق من الداخل . . . ومبطن . انه مذهل . وسألتها إذا كانت ترغب في بيعه ، وكانت متعجبة بان شخصاً يريد شراءه . هل تستطيع الذهاب غداً لرؤيته ، قبل ان تغير رأيها ؟

في تلك اللحظة ، حمساتها للبوفية تغلبت على كل اهتماماتها الأخرى .

ـ بكل تأكيد . كيف لك ان تعرفي كل هذا عن الأثاث الأثري ؟

لا أتذكر ان منزل والديك فيه أثاث أثري ؟

ـ لا ، فعندهم فقط بعض النسخ طبق الأصل . لقد كنت صديقة لأحد المتعاملين بها وعلمني كيف أميز القطع الحقيقية . عندما يصبح لدي منزلي

الخاص لن أفرشه سوى بها . هناك سحر خاص للأثاث القديم المستخدم والمصقول لعدة أجيال .

ـ اوه ، لا أستطيع شرحه . فاما ان تحبه أولاً .

ـ في الواقع أحبه . لقد شاهدت بعض المنازل القديمة المفروشة بالأثاث الحديث ، ولكنني لا أستسيغها .

ونظر إلى ساعته وقال : «أعندك الكثير من العمل بعد ؟» .

ـ لا ، لقد انتهيت بينما تقف صاعداً السلم . ومن الأفضل الذهاب إلى البيت .

ستتساءل السيد شاربون عن سبب غيابي .

ـ هل كنت دون سيارة هذه الليلة ؟

ـ أجل ، فالمقاربة كانت في وسط المدينة . لذا ذهبت سيراً .

ـ سأسير معك حتى باب المنزل . هناك مجموعة من الشبان عند الزاوية قد يسببون لك الإحراج .

هل يفكر هكذا فعلاً ، أم انها حجة لمعاودة الحديث الذي انقطع في المكتب ؟ . ولكن إذا أراد اعادة فتح الحديث فلماذا لا يفعل هذا هنا ، في المكتب ؟ فمن المؤكد ان راي يكتب مقاله وهو مرتاح في بيته الآن .

ـ هذا لطف منك ، ولكنني أشك في يتجاوزوا حدود الصغير والملاحظات المحرجة . أين هي سيارتك ؟

ـ في الطرف الأخر من البلدة . كنت أقوم بجولة ، أتفرج على الأبنية . من السهل أكثر الوقوف والتحديق بها في هذا الوقت من الليل . ثم لاحظت ان الأنوار مضاءة هنا واعتقدت اني سأجد راي يعمل .

ـ أنا آسفة لانك وجدتني أنا .

وظهرت ابتسامة خفيفة على شفتيه من تحت شاربه القصير الأسود وقال :

ـ ولكنني لست آسفاً .

ونهضت من مكانها لتأخذ المعطف الذي كانت ترتديه ثم تناولت حقيبتها وعبرت الفرفة نحو الباب ، تاركة لايل يطفىء الأضواء ، ويلحق بها . وحدقت بها مجموعة الشبان الواقفين عند الزاوية ، ولكن وجود رجل معها ، طويل ورائع البنية كرجل بوليس ، مجرد ظهوره كاف لقمع أكثر الشبان اثارة للمشاكل ، منعهم من ابداء أي تعليق حتى بصوت منخفض .

وبينما هما سائران عبر الشوارع نحو مسكنها ، كان هناك أماكن مضادة وأماكن أخرى معتمة ، وتساءلت عما إذا كان يرغب في عناقها بالقدر الذي ترغب هي فيه . ولكن أين ، فليس لديهما خلوة ، لا حيث تسكن هي ولا في منزله ما عدا في تلك المناسبة عندما انقطع التيار .

وفكرت سارة : لو كان عندي مكان خاص بي ، لدعوته إلى العشاء . وسيكون كل شيء عند ذلك سهلاً .

عند زاوية ليست بعيدة عن بوابة المنزل ، حيث مجموعة من الأشجار تعطي قليلاً من العتمة . وقف وقال لها : «سأتركك هنا ، عمت مساء يا سارة» واستدارت لتواجهه : «عمت مساء . شكراً لتوصلي إلى هنا» ورد عليها : «كان هذا من دواعي سروري» واستدار بعد كرر التحية ليمضي في طريقه باتجاه مكان وجود سيارته .

للحظات ، وقفت تراقبه ، لو كان لديها شقة صغيرة لطلبت منه ان يتناول القهوة عندها ، ولتنعمت بوجوده معها . وساتدارت نحو المنزل وهي مقتنعة ان لايل لن يكون له علاقة معها ، إلاّ حسب الظروف ، وهذا يعني انها طالما بقيت مستأجرة غرفة عند القس الميثودي وزوجته من يكون هناك أي شيء بينهما .

بعد بضعة أيام بينما كانت تتفرج على واجهات المحال ، شعرت بيد على كتفها وصوت يقول : «ما رأيك بتناول بعض المرطبات أو فنجان قهوة ؟» ونظرت إلى الوراء وقالت : «مرحبا تيرانس . أحب ان أتناول شراباً بارداً . في الواقع كنت بحاجة لنصيحة منك .

- إذاً سنجد طاولة عند «توغريرد» وستحصلين على النصيحة .

وقادها ويده لا تزال على كتفها إلى مطعم ليس ببعيد له حديقة ظليلة ومشهور للسياح وسكان البلاد معاً . وجلسا إلى طاولة تحت مظلة من الأغصان وطلبا ما يرغبان به . ولاحظت سارة ان تيرانس يرتدي قميصاً أزرق اللون يماثل لون عينيه ، اللتان كانتا أجمل قسمات وجهه بأهدابهما الطويلة ، ولو انهما لفتاة لكانت ارتدت نفس اللون لتبرز جمالهما . ولكنها شعرت انه من غير المناسب لرجل ان يفعل هذا . وسألها :

- إذاً ، ما هي مشكلتك ؟

- لقد عرفت بانك قبل ان تشتري القارب ، فتشت عن أماكن كثيرة للسكن ، وأرغب في ان أجد مكاناً أسكن فيه لوحدي . ورغبت في ان أعرف ما إذا كنت قادراً على اقتراح مكان أبدأ منه التفتيش .

- ألست سعيدة باقامتك الحالية ؟

- لا بأس بهم بطريقة ما ، ولكن هناك أشياء تضايقني .

أفضل مثلاً ان أطبخ لنفسي أو أتناول الطعام في الخارج إذا لم يكن لدي وقت . وهم يتناولون الطعام الدسم . لقد زادوني ثلاث باوندات في شهر واحد .

- ولكن هذه الزيادة تناسبك ، يا حلوتي .

- ولكن ثلاثة أخرى قد لا تناسب . وأيضاً أحب ان أكون قادرة على

تسلية نفسي ، وهذا غير ممكن معهم .

- معك حق ، ذهذا أمر معيق لك . ما رأيك باستئجار كابين على زورقي «مازنيفا» لا «أعارض في ان تشاركيني .

فابتسمت وهزت رأسها : «هذه ليست لندن يا تيرانس حيث يستطيع رجل وفتاة المشاركة في شقة ، ولا يعترض أحد» .

- أجل ، أظن انك على حق .

لقد بدأت تكتشف بانها أحبت الحياة في الجزيرة والجو الريفي في سانت جايمس . كانت تعرف نفسها بانها محافظة . حبها للأثاث الأثري ، وللوحات الكلاسيكية ، والثياب البسيطة ، ولسلسال ذهبي واحد بدلاً من صندوق ملىء بالمجوهرات كان دليل طبيعة تقليدية فيها . ولم تكن غير محبة للمغامرة ، وكذلك لم تكن من النوع الثائر .

في الواقع لم تكن مرتاحة بعد لفكرة ان يكون لها حبيب . ولكن إذا كانت هذه رغبة لايل ، فليس أمامها إذاً خيار آخر . فلن تستطيع الزواج برجل آخر طالما كان سحره مسيطراً عليها .

وأدركت انها لم تكن تستمع بينما كان تيرانس يتحدث حول الأماكن التي جال فيها دارساً قبل ان يختار مسكنه الحالي . . . وبدأت تنتبه له . أكثر ما أعجبها ، كما وصفه ، منزل صغير عند أول البلدة .

وسألته : «ماذا جعلك تتخلى عنه ؟» .

وتردد لبضع لحظات ، وكانما نسي السبب ثم قال :

- بدا لي ضيقاً بالنسبة لي ، والجيران على جانبيه لديهم أطفال باعداد كبيرة . ورغماً من انني ارلندي ، إلاّ انني لا أحب الأطفال في كل مكان . ربما بيع الآن ، ولكنني لا أظن . انه في جوار حيث معظم البيوت مؤجرة ، وسعر هذا البيت قليل جداً بالمقارنة البيوت التي تؤجر لقضاء العطل ، ولكنني

أظن لو ان أحداً لديه المال الكافي لفضلوا بيعه .

وقبل ان يعودا إلى مكتب الصحيفة ، عرفها على الوكيل الذي يحتفظ بمفتاح البيت ، وعرض عليها الرجلان ان يرياها البيت ولكنها فضلت رؤيته بمفردها .

وذهبت لرؤيته عند المساء ، سيراً على الأقدام . وكان الطريق باتجاهه طريق قدم بين حدائق المنازل على كلا الجانبين . ولم يكن لأي منها مكان لايقاف سيارة . كانت منطقة يسكنها أناس فقراء وبعض المنازل كانت قذرة بينما الأخرى نظيفة وبحالة جيدة ، ولها ستائر نظيفة على النوافذ وحدائق مرتبة ولها سياج .

كان موقعاً لن تندهش فيه إذا رأت الناس يأتون بالماء من مواسير عامة ، ولكنها علمت من تيرانس ومن الوكيل ان هذه المنطقة من بين أوائل المناطق التي ستجر إليها المياه الرئيسية ضمن مشروع حكومي لاعطاء كل أجزاء سانت جايمس مقومات العاصمة الحديثة .

كان المنزل بلون التوت البري الزهري وله مصاريع نوافذ خشبية وعواميد الشرفة المسقوفة مدهونة بلون تركوازي وأبيض . وكان له سقف من ألواح الحديد المموج مما قد يجعله مزعجاً عند هطول المطر ، ولكن المطر في كومبوستيلا يهطل عادة دفعة واحدة ولمدة قصيرة . وليس بشكل يستمر أياماً .

وفتحت سارة بوابة الحديثة . وسارت صاعدة الممر نحو الشرفة المسقوفة . في الداخل كان هناك غرفة واحدة بحجم معقول ، وغرفتين صغيرتين رأتهما في تفكيره وقد تحولتا إلى غرفة نوم ومطبخ صغير وحمام ومرحاض داخلي . المياه الوسخة تنصرف إلى خزان عفن ، والمرحاض في الوقت الحاضر موجود في الخارج ، كوخ في الحديثة مغطى بشجرة موز .

* * *

بعد بضعة أيام أرسل لايل في طلبها إلى مكتبه . وكان يقف قرب النافذة عندما دخلت ، وعندما استدار ليواجهها ، عرفت انه مستاء جداً . وسألها وهو عابس :

ـ ماذا سمعت حول رغبتك بترك منزل آل شاربون ؟

www.rewity.com

الفصل السادس

هل أخبره تيرانس ؟ انه الشخص الوحيد في المكتب الذي يعرف انها ستنتقل ، كذلك آل شاربون ، ويصل الأشخاص ممن لهم اهتمام بالصفقة .

وقالت له : «كنت آمل ان أفاجئك بدعوة إلى احتفال بالنقل . فمن سرق متى المفاجأة ؟» .

ـ لقد اتصل بي جورج شاربون منذ بضع دقائق ليخبرني بانك ستتركيهم ، ويشعرون بالقلق من خططك هذه .

ـ قلقهم لا لزوم له . فأنا أعرف ما أنا فاعلة . فأنا ابنة محامٍ ، أتذكر . وخفايا شراء الأملاك ليس أمراً مجهولاً لدي .

ـ وهل يعرف أبوك ماذا تنوي فعله ؟

ـ إذا كان قد تلقى رسالتي الأخيرة ، فنعم . ولكن ، لو كنت ناسياً ، فأنا فوق السن . ولست مجبرة على سؤال والداي ليأذنا لي بأعمالي ، أو للمال لتحويل مشاريعي . لقد دبرت أمر قرض من البنك ، وإذا كان مدير البنك قد وجد نواياي مرضية ، فلا أعلم سبباً يدفع آل شاربون للأعراض . أعتقد ان السبب عائد إلى انهم بورجوازيون في أفكارهم ويأنفون من السكن حيث اشريت منزلي .

ـ سأحتفظ بحكمي الخاص إلى ان أراه . وإذا لم يكن لديك شيء

ضروري ، يمكنك أخذه إلى هناك فوراً .

ـ ولكنني لا أريد ان يراه أحد الآن ، ليس حتى أقيم حفلة بمناسبة الإنتقال .

ـ دون موافقتي لن يكون هناك انتقال .

وبدأت سارة تفقد أعصابها ، وأحست بالغضب من جورج شاربون بسبب تدخله ، وبالتكرر لان ردة فعل لايل كانت على عكس ما أملت .

ـ قد تكون رب عملي ، ولكنك لست حارسي . فإذا اخترت شراء منزل هنا ، فلا شأن لك . وموافقتك ليس لها دخل بالموضوع .

ـ لا شأن لي ؟ لا أشك ان القرض مضمون على أساس الإتفاق الذي بيننا . وقد يقرر البنك سحبه إذا أوضحت له انني لا أوافق .

ـ لم أسمع في حياتي عن شيء لا يحتمل أكثر من هذا . بأي حق تتدخل في حياتي الشخصية ؟

ـ بحق الشخص الذي وعد أبواك برعاتيك . لا حاجة لك لتبلغي ذروة الغضب ، وفرية إلى ان أرى المنزل أولاً .

وجذبها من ذراعها وجرها بخشونة نحو الباب ، وفتحه لها . طوال نزولهما على السلم وعبر الشارع إلى السيارة ، كانت سارة تتنفض من السخط المكبوت . وقال لها وهو يفتح باب السيارة :

ـ افترض ان علينا ان نستعير المفتاح من الوكيل الذي يتولى الصفقة ؟

وأخبرته بجرود أين يذهب ، وجلست بصمت وقلق بينما كان يقود لمسافة قصيرة نحو مكتب الوكيل . لم تكن تشك انه قادر على افشال مشاريعها لو أراد . ولقد اعتبرت ان ملكيتها للمنزل سيكون لصالحها ولصالحه لذا لم تستسغ منه ان يعاملها وكانها لا زالت في سن المراهقة .

وبدا المنزل الصغير ، صغيراً أكثر عندما دخله . ولم يكشف وجهه عن شيء من أفكاره ، وهو ينظر حوله . ثم بدأ بطرح الأسئلة ، أسئلة من النوع الذي يطرحه والدها . وكان لكل سؤال عندها جواب . فكما قالت له ، لم تكن ابنة محام عن عبث . فهي فوق كل شيء حول تحديدات الأضواء القديمة ، وحول عقود الرهن ، والأماكن المؤجرة ، صحيح ان شراء منزل مدهون باللون الزهري ، أصغر إلى حد ما من كاراج منزل والديها في أرخص قسم من سانت جايمس ، قد لا يكون مشابهاً لشراء ملك في انكلترا .

ومع ذلك فقد درست كل شيء قبل ان تقرر رأيها . وكانت كل الوقائع عند متناول يدها ، واحتسبت مبلغ الفائدة على القرض الذي تحتاجه ، والمدة التي ستستغرقها لايفاد الدين ، عندما يوافق مدير البنك على طلبها . ولكن هل تكون ردة فعل لايل لصالحها ؟

وقالت ، وكانها تجيبه على آخر سؤال قبل ان ينهي استجوابه لها :

ـ القرض سيغطي التكاليف الضرورية للتصليح ، والأساسيات مثل شراء السرير ، والطباخ ، والبراد .

بالتأكيد لم يبق شيء يريد ان يعرفه بعد مجموعة الأسئلة والإجابة عليها ، المضنية خلال البضع دقائق الأخيرة .

ـ ستحتاجين أيضاً إلى طفاية حريق جيدة ، فهذه الأماكن المبنية من الخشب سريعة الإشتعال .

لعدة ثواني لم تستوعب ان ملاحظته هذه تتضمن الموافقة . فسألته بحذر : «هل تعني انك لم تعد تعارض ؟» .

ونظر إليها نظرة ساخرة :

ـ لقد اتهمت بعدة عيوب ، ولكن لم أتهم أبداً بانني برجوازي . طالما أنت غير سعيدة بالسكن مع آل شاربون فلماذا لم تقولي هذا ؟

ـ أنا كبيرة كفاية لأحل مشاكلي بنفسي . فمشاكلك تكفيك .

وتعمدت ان تكون لهجتها غير ودية . واستدارت إلى أقرب نافذة . كانت الدرق الزجاجية تفتح إلى الداخل لتسمح باقفال الدرف الخشبية من الداخل ، وعندما مالت إلى الخارج لاقفال الدرف الخشبية ، أطبقت يداه القويتان على خصرها . والتقت الدرفتان لتظلما ذلك القسم من الغرفة . وأدارها كي تصبح بين ذراعيه ، وقال لها بلطف ، قبل ان يطبق ذراعاه حولها :

ـ عندما تكوني غاضبة ، تبدين وكانك قطة شرسة .

لبضع لحظات ، حاولت مقاومته ، بابقاء جسدها متصلباً وابعاد رأسها عنه ، وعلمت حالاً ان الأمر مستحيل ، كما هو مستحيل على الشمعة ان لا تذوب من حرارة الشعلة . فتوقفت عن المقاومة .

عندما أبعدها قليلاً ، وفتحت عيناها ببطء ، شعرت بانها دائخة . كمن كانت عالقة دون وعي في موجة بيضاء كبيرة تتخبط بيأس واضطراب في مشاعرها الغامرة .

وقال لها لايل بصوت أجش وهو لا يزال يمسك بها على بعد منه :

ـ لم أكن أنوي ان أفعل هذا ، ولكنك لسوء الحظ تملكين براعة في اثارة مشاعري الطيبة .

استطاعت تلمس الرغبة في صوته وان تراها في عينيه . فتمتمت :

ربما لن أقيم حفلة انتقال ، فالمكان صغير ، أليس كذلك ؟ ربما حفلة لشخصين تكون أفضل .

ـ هل هذه دعوة ؟

ـ أجل ، نعم انها دعوة . ولكنني لا أقدر على تثبيت موعد لها في الوقت

الحاضر . فلست أدري متى سيكون المنزل جاهزاً .

وتركها ليغلق باقي درف النوافذ الخشبية وقال لها من فوق كتفه :

ـ لن يستغرق وقتاً كما أتصور . أظن ان قواتي العاملة سوف تحول جهودها إلى مكان آخر . وليس مهما بعد ، فأعاده ترتيب منزلي قد اكتمل تقريباً .

ـ سأعيد دهان بيتي بنفسي . فهو صغير جداً على فريق .

ـ طالما لا ترهقين نفسك به فالعمل الدائم دون راحة ليس بالأمر الجيد لأحد .

وأكمل اقفال المنزل كله ، ثم سار إلى حيث تنتظر لتغلق الباب ، وقال :

ـ سألزمك بالدعوة . عشاء لاثنين ، هل تعرفين الطبخ ؟

ـ ليس كأمي ، ولكن بشكل جيد .

ووقفا للحظات طويلة في الغرفة الخالية يتبادلان النظرات . كانت الرسالة واضحة في عينيها «أحبك» ولكنها شكت في ان يكون قد قرأها بشكل صحيح . ورسالته كانت غير واضحة . هو يرغب فيها ، ولكنه لأسباب تتعلق بمركزه ، يمتنع عن عمل أي شيء قد يلصق أي اشاعة به ، منذ لحظة وصولهما إلى الجزيرة .

خلال الوقت الذي كانت تشك فيه بعلاقته بفاشتي ، لم تتريث لتفكر بمدى الضرر الذي سيحدث للصحيفة لو ان رئيس تحريرها كان رجلاً يعتبره أعضاء الحكومة فاسد الأخلاق ، وأعضاء غرفة التجارة والجماعات الأخرى ذات النفوذ .

وعادا نحو السيارة صامتين . وتساءلت عما يفكر به ، وكم كان من الغريب ان تفكر منذ نصف ساعة بانه مستبد لا يحتمل ، يفرض سلطته عليها

لدرجة لا تطاق . وها هي قد نسيت كل هذا الآن ، فجأة بعناق واحد .

وقال لها وهما يركبان السيارة : «بعد ان نعيد المفتاح للوكيل ، هل نذهب لنحضر أغراض السباحة ونذهب إلى الشاطىء ؟

ـ سيكون هذا رائعاً ، ولكن ألديك وقت ؟

ـ حوالي الساعتين ، ولم لا ؟

وتركته في السيارة ، وصعدت إلى المكتب لتحضر حقيبة السباحة حيث تحتفظ بها دوماً استعداداً للذهاب إلى الشاطىء في أية ساعة . وعلى السلم التقت بفاشتي التي سألتها :

ـ أتعرفين أين يمكن ان يكون لايل ، عادة يترك لي رسالة يحدد فيها أين هو ذاهب إذ كان خارجاً لأكثر من عشر دقائق .

ـ لقد تركته لتوى في الخارج في سيارته . هل هناك شيء ضروري ؟

ـ أجل ، لقد وصلت شقيقته على غير انتظار . انها تنتظره في غرفته .

وتذكرت سارة الوصف الذي أعطاه لشقيقته عندما كانا في الطائرة قادمان من لندن : راين ، طولها خمس أقدام واحد عشر انش ، عارضة سابقة ، متزوجة من صحفي سياسي وتعيش في واشنطن ، عطرها المفضل «فام» . وهي الآن متقاعدة وقد أنجبت أطفالاً .

وقالت سارة : «سأهرع إليه لأخبره بانها هنا» .

ـ شكراً لك» . وعادت فاشتي للصعود نحو المكتب .

وشعرت سارة ان رد فعلها على سير الأمور كان مزيجاً من الخيبة والراحة معاً . فهي تريد ان يصبح لايل حبيبها ، ولكنها ليست مستعجلة .

لم يكن في السيارة ، بل كان واقفاً قربها ، وابتسم لها ومد يده ليأخذ الحقيبة منها ليضعها في السيارة ، فقالت له : «شقيقتك هنا» .

ـ راين ؟ يا إلهي ! لماذا لم تبرق لي ؟ أخشى ان يكون هذا يعني ايقاف مشروعنا للسباحة .

ـ لا بأس . انها مفاجأة سارة لك .

ـ تعالي لتقابليها .

ـ لا ، سترغب بك لوحدك في البداية . سأقابلها فيما بعد ، وهذا يذكرني انني أحتاج لشراء شيء ما . والمحال تغلق بعد عشر دقائق .

وابتسمت له واستدارت معتبرة الشراء كان حجة لها لالتقاط أنفاسها قبل العودة إلى عملها .

كانت الحال في سانت جايمس تقفل عند الرابعة . ولم يكن لها حاجة لتعود إلى المكتب ، ولكنها كانت قد نسيت بعض الكتب على طاولتها وهكذا عادت لتجد راين تتحدث في غرفة التحرير مع راي ، جيف ، وجيمي وكأنها كانت تعرفهم منذ شهور . وقال لايل عندما دخلت :

ـ وهذه سارة . . . وهذه شقيقتي . . . راين كارنتبر .

ـ كيف حالك سيدة كارنتبر ؟

وتطلعت سارة إلى الأعلى وتطلعت راين إلى الأسفل ، طولها غير العادي زاد عليه ارتفاعاً فلين كعب حذائها ، ومع ذلك فهي أقل طولاً من شقيقها بحوالي الانش ، مع انها كانت تبدو أعلى من الآخرين ، وصافحت سارة وطلبت منها ان لا تكون رسمية . وعادت إلى جلستها على زاوية طاولة راي .

كانت لا تزال رغم تقاعدها رائعة الجمال تصورها تماماً . وكانت ترتدي فستاناً من القطن الجيرسية بلون قلب الخس . على كل ، لم يكن ما ترتديه هو الذي جعلها تبدو مذهلة ، بل كمال هيئتها وجمال تناسب جسمها .

وقال لايل : «هل تضعين معي معروفاً يا سارة ؟ هل تأخذين راين إلى

أمير الدهيل ، وتساعديها على ترتيب أمورها هناك ؟

ـ بالطبع . . . وبكل سرور .

ـ أنا ملتزم بموعد عشاء مع زوجين كنديين لن يمكثا هنا أكثر من بضعة أيام وأرغب في ان أتحدث مع الزوج بأمور تتعلق بالعمل ، لذا سأمضي ساعة أو أكثر معهما وسأكون بعدها حراً لباقي الأمسية .

وقالت راين بينما كانت سارة تقودها في السيارة خارج البلدة :

ـ آسفة لازعاجك . كان يجب علي ان أبرق بموعد قدومي . ولكن طريقة لايل العادية الوصول فجأة ، لذا فكرت ان أعمل نفس الشيء .

ـ ليس من ازعاج أبداً . فالسباحة في أمير الدهيل دواء .

ـ هل هو جميل ، هذا المنزل الذي استأجره لايل ؟

ـ أعتقد هذا ، وعندما ينتهي تحضيره ، بالستائر واللوحات والزهور ، سيكون أكثر جمالاً .

ـ انه يريد ان أعطيه نصيحة حول الستائر .

ونظرت إلى قميص سارة الزهري ، وعلى أكمامه رسومات مكررة على التنورة الزهرية الملفوفة كالعباءة عليها وتابعت قائلة :

ـ يبدو ان لك ذوقاً رائعاً . هل يجد المرء هنا أقمشة محترمة أم ان كلها مستورة ؟

ـ لست متأكدة . هناك بعض الأقمشة الجيدة إذا فتشت عنها جيداً ، ولكنني لم أفتش عن أقمشة للمفروشات من قبل ، وأظن انه يجب علي ان أفعل بما انني سأشتري منزلاً خاصاً بي .

ـ وهل ستشتري منزلاً ؟ ولكنك لست متزوجة أليس كذلك ؟

ـ لا ، لست متزوجة انه لي فقط فهو صغير ، يبدو كذلك المنزل .

وأشارت سارة إلى منزل مرا به بنفس الحجم تقريباً .

ـ كم هو صغير ـ ولكن لماذا تحتاجين إلى منزل ؟ ألست أحد الأشخاص الذين سيشاركون أخي أمير الدهيل ؟

وهزت سارة رأسها بالنفي ، وقالت شقيقته :

ـ أظن انه مجنون . فما الفكرة وراء استئجار مكان فيه العديد من الغرف تم ملئها بالمستأجرين الثانويين ؟

ـ سيكون هذا للسنة الأولى فقط في وقت مستقبل الجريدة غير مؤكد بعد .

ـ حتى ذلك الوقت سيصبح من الصعب اخراجهم ، وزوجته ، إذا وجد زوجة آخر الأمر ، قد لا يعجبها مشاركة المنزل مع العديد من زملاءه في العمل ، من الطريقة التي كتب لي بها ، أظن انه أخيراً قد وجد بيتاً له .

هل تقدرين ان تعيش على هذه الجزيرة بشكل دائم ؟ أشك في انني أستطيع .

ـ ولماذ لا ؟

ـ انه مكان صغير جداً ، ضيق ، محدود ثقافياً واجتماعياً .

ـ ولكن لو أراد زوجك ان يفعل ما يرغب لايل بفعله ، لأتيت معه ، أليس كذلك ؟

ـ نعم ، لان المسارح والمعارض وحفلات العشاء المسلية الرائعة ، هي مهمة جداً لدي ، ولكن بول هو الأساس عندي . وستكون الحياة أسوأ من دونه أكثر من الأشياء الأخرى ، ولكنني سأفتقد تلك الأشياء كثيراً .

بعد ساعتين عندما عاد لايل إلى المنزل وجدهما تعدوان على طول الشاطىء سارة بالبيكين المشمشي وراين بثوب استحمام أبيض من قعة

واحدة . وخلع ملابسه وبقي بالشورت ، وركض عبر المياه الضحلة لينضم إليهما . وعندما أصبح على خطوات منهما أخرج آلة تصوير صغيرة والتقط لهما صورة والبحر من خلفهما . وقال لهما : «توقفا يا فتيات» وقالت له راين : «والآن أفضل صورة جانبية ، لو سمحت» وعندما تكتكت الكاميرا قالت : «أي جانب من وجهك أجمل من الآخر يا سارة؟ » وأمسكت بذقن سارة بين يديها وأدارت وجهها إلى الجانبين «جميلة على الجانبين بشكل مماثل ، أيتها المخلوقة المحظوظة» وعرفت سارة انه اطراء ودي ، كي تشعر أقل احساساً بطغيان أشعة هذه المرأة الجميلة ، الأنيقة ، التي بدت كأنها لا تقوم بأي حركة غير أنيقة . وقالت سارة بعد ان صورهما لايل للمرة الثانية :

ـ هل آخذ لك ولشقيقتك صورة ؟

وأعطاها آلة التصوير ، وأرشدها إلى كيفية استخدامها . ثم وقف قريباً من راين وذراعه حول خصرها . وبديا وهما معاً أكثر فتنة مما هما منفصلين . ! شخصان ، طويلان ، مليئان بالثقة بالنفس ، وكلاهما صنعا مكانهما في الحياة ، وذاقا طعم الشهرة ، وعندما وجداها متطلبة أدارا مواهبهما نحو أهداف أخرى .

وقالت راين : «والآن سآخذ لكما صورة لترسلها سارة إلى أهلها» .

وكانت سارة حتى ذلك الحين قد عرفت كل شيء عن أطفال راين الثلاثة ، وعرفت راين كل شيء عن آل غراهام . ووقف لايل قرب سارة ، دون ملامستها ، بينما حدقت شقيقته من خلال العدسة ، ولكونها خبيرة بالصور أكثر منهما لم يعجبها ما رأت ، فقالت :

ـ دون حذاء تبدو سارة قزماً أمامك ألا تستطيع الجلوس أو أي شيء آخر ؟

وركع لايل على احدى ركبتيه وجذب سارة إلى الأخرى وقال :

ـ ما رأيك بهذا ؟

ـ أفضل بكثير . حسناً . انتظرا لحظة .

وتقدمت نحوها أكثر ، وركعت «هذا جيد . لا انتظرا . . . ضعي ذراعك على كتفيه ، لو سمحت يا سارة ؟ هذا رائع . . . عظيم» .

وتكتكت الكاميرا مرتين . ووقفت «غداً سأستخدم بقية الفيلم في بعض لقطات للمنزل . انه رائع بالليل ، لقد أحببته . ولكن هذه النوافذ الطويلة ستكلفك الستائر ثروة . رب تكون الستائر الرومانية هي الحل» .

ونهض واقفاً ، وكانت سارة قد نهضت عن ركبته عندما انتهت الصورة . وكان الوضع الحميم يناسب خطيبين أكثر من رئيس تحرير ومراسلته الشابة . وسأل شقيقته :

ـ ما هي الستائر الرومانية ؟

ـ أوه . . انها تلك الستائر التي لها شفرات عريضة ترتفع بواسطة حبال رفيعة ، على مراحل ، مثل الأكورديون . والأفضل أيضاً ستائر ترفع إلى أعلى . ما تحتاجه هو ذلك الكتاب الرائع عنه الديكور في القرن الثامن عشر لمؤلفه المصمم الانكليزي جون فولر . كم من المؤسف ان لا يكون عندك زوجة لتدبر أمر المنزل وأنت غائب ترعى الجريدة .

وتحاصل لايل ملاحظتها وقال : «طالما أنت تتعشين دوماً في الخارج في واشنطن فكرت بان من المربح أكثر ان تتعشي هنا الليلة . لقد اشتريت وأنا في طريقي إلى هنا طعاماً بحرياً يدعى «روتي» .

ـ انه طعام لذيذ ، أتذكر انني تناولت مثله في ترينيداد عندما كنت أعمل هناك .

والروتي هو نوع من الفطائر ، غنية بالزبدة المصفاة المدعوة «غي»

ومملوءة بالدجاج المبهر بالكاري أو الأطعمة البحرية ويشتريها الناس لرحلاتهم .

وقالت سارة : «يجب ان أذهب وإلاّ سأتأخر عن موعد العشاء» .

ـ لقد اشتريت عشاء لثلاثة ، واتصلت بالسيدة شاربون وقلت انك ستتعشين معنا . وقلت لها أيضاً ، ان بيتك أعجبني ، وانك ستكوني بخير في سكنك فيه . سأسبح قليلاً ثم ألحق بكم ، ألا تريدان الإغتسال قبل العشاء ؟

وقالت شقيقته : «أنا أرغب في الإغتسال بالمياه المالحة تجفف البشرة ، ألا تجدينها هكذا يا سارة ؟ لا . . أظن انني عندما كنت في الواحدة والعشرين لم أكن أشعر بمشكلة ، ولكن الثلاثين الآن يقترب ومن الأفضل ان أعتني بنفسي .

وتركتا لايل ، وعادتا إلى المنزل وهما تتبادلان الأحاديث وكأنهما صديقتان قديمتان . ومع كل تألقها كانت راين سهلة في التصادق معها مثل ليز تماماً .

يوماً ما ، كما فكرت سارة ، ستصبح راين كارنبتر ، ابنة أخي رائعة لزوجة لايل تالبوت المستقبلية ، اينما كانت هذه المحظوظة تنتظر مرفرفة جناحيها لتدخل إلى حياته .

ومرت الأمسية بسرعة ، بكثير من الضحك ، والقليل والقال المثيرة حول أشخاص لهم صلة بالصحافة . وأخيراً قال لايل : «أظن ان الوقت قد حان لأوصل سارة إلى بيتها . لن تحتاجي سيارتك باكراً ، وستحضرها لك راين عندما تحضر إلى البلد لتتفرج على المحال .

وقالت سارة : «أوه . . ولكن» .

ـ لا تجادلي يا طفلتي . . لن تعودي لوحدك في مثل هذه الساعة .

ـ وتطلعت إلى ساعتها «انها العاشرة والنصف ، والوقت ليس متأخراً» .

انها بعد منتصف الليل ، لا بد ان ساعتك متوقفة .

وقالت شقيقته : «وإذا تركت لي سيارتك يا سارة ، فهذا يعني انني أستطيع الكسل في الفراش إلى ساعة أريد بدلاً من أن أكون مستعدة عندما يغادر لايل إلى عمله .

وهكذا وافقت سارة ان يوصلها لايل إلى سانت جايمس . وهما في الطريق سألها : «ما رأيك براين ؟» .

ـ أتمنى لو انها تعيش هنا .

ـ لو نجحت الانديبندنت ، فقد يهتم صهري بضم قوته لقوتي لاحياء صحيفة «الستار» في الانتيك .

ـ لا أظن ان شقيقتك قد يعجبها هذا . لقد قالت لي ان الحياة هنا لا تناسبها ، على الرغم من انها ستكون مجبرة عليها لو أراد زوجها ذلك .

ـ وكيف تشعرين أنت ؟ أتكون الحياة سنة في كومبوستيلا أكثر من ان تتحمليها ؟

ـ لا ، فأنا أشعر انني قادرة على العيش هنا إلى الأبد ، مع بعض العطل بعيداً .

ـ هه . . ولكن لم يمض عليك شهرين هنا بعد . وهذه ليست مدة كافية متجددة لان تبدأ بالقلق .

كانت المسافة إلى منزلها تستغرق خمسة عشر دقيقة ، وأوقف لايل السيارة تحت الأشجار التي ودعها تحتها يوم أوصلها من المكتب . وأطفأ الأنوار وأوقف المحرك . والتفت إليها .

ـ راين ستبقى هنا ستة أيام ، وقد لا أستطيع قضاء وقت طويل معها . وسأكون شاكراً لك لو رافقتيها عندما أكون مشغولاً .

ـ سأكون مسرورة لهذا .

ـ شكراً لك ، زيارة راين ستعيق مخططاتي ، وهذا أمر جيد .

من الخطورة نسيان انك من الصنف المعرض للأذى لانك في وضع يعتبر محظوراً .

ـ أتعني انني لا زلت . . .

ـ بالضبط .

ـ ولكن السبب الوحيد لبقائي دون تجربة انني لم ألتق بالرجل الذي قد يكون قادراً على اسعادي . أتستطيع أنت اسعادي يا لايل ؟

ونسيت انهما كانا في سيارة ، وانهما في الشارع ، وانهما قد يشاهدهما أحد . عرفت فقط انها معه ، وكأنها في سماء مليئة بالسعادة .

ولبضع لحظات أمال رأسه على المقود ، وشعرت بانه يتصارع مع نفسه . ثم فتح بابه وخرج . وسار حول مقدم السيارة نحو بابها .

ـ «اخرجي يا دليلة» . . . وكان صوته ثابتاً وساخراً .

وسارا بصمت إلى بوابة البيت ، وفتحها لها .

ـ شكـ . . . شكراً . . لك لايصالك لي إلى البيت .

ـ عمت مساء يا سارة .

وبينما هو يمشي عائداً إلى سيارته ، كانت تشعر بانه لا بد غاضب منها .

الفصل السابع

في اليوم التالي ، كان لايل مرتبط بموعد غداء مع نائب رئيس وزراء الجزيرة ، والذي كان في نفس الوقت وزير التنمية الإقتصادية والسياحة . لذا فقد تناولت راين غداءها مع سارة .

وقالت راين بعد ان طلبتا الطعام : «انك الرجل الايرلندي ، تيرانس . . . لا أعرف ماذا ، لقد دعانا لتناول العشاء الليلة ، فمن هو وما شكل مركبه ؟

ـ انه تيرانس كيلكيران . . انه رجل لطيف . . . مرح ومسلي . ومركبه يدعى «مازنيغا» ، ولكنني لم أصعد إليه قبل الآن .

ـ مسكين لايل . . لا بد انه يشتاق لمركبه . كان مركباً جميلاً طوله ستون قدماً ، بين للسباق في هامبل حيث يبنون القوارب منذ ستمائة سنة ، هل تصدقين هذا ؟

ـ لم أكن أعلم انه كان لديه مركباً . ماذا حصل بها ؟

ـ اضطر لبيعها ليستخدم المال في تحويل الجريدة . لا أعلم كم قبض ثمنها ، ولكن أعتقد انه لا يقل ثمانين ألف جنيه . كان اسمها «تاليا» وكانت عزيزة عليه ، يرعاها ويحميها وكانها زوجته . لقد دهشت كثيراً عندما علمت انه افترق عنها .

ـ ولم أسماها ثانياً ؟

ـ على اسم ابنة زيوس . ألم تتعلمي عنهم في المدرسة ايفوريا ، آغليا ، وتاليا ، وكن يعشن مع موسيس في جبل أوليمبوس ، ويوزعن السعادة واللطف والسحر على البشر . ولا أعلم من منهم تعطي ماذا . ولكن اسم تاليا كان يمنح لايل السعادة ، لقد خسرها ولكنه نجي من كل المخاطر التي مر بها أثناء عمله .

قد يكون من سعادة سارة ان تشجع راين على الحديث عن شقيقها طوال الوقت ولكنها شعرت انها لا يجب عليها ان تظهر اهتمامها به كرجل أكثر من كونه رئيس تحرير . لذا غيرت الموضوع وسألت راين عن رأيها بالمحلات في المدينة . فأجابتها :

ـ انها بلدة صغيرة ، ولكنني أعتقد انني مدللة كثيراً .

* * *

عندما عادت سارة إلى المكتب ، وجدت مذكرة على مكتبها ، وكان من مدير الإعلانات يقول فيها :

«لايل وراين قادمان لتناول العشاء عندي ، وأنا آمل ان توافقي على جعل العشاء رباعي . . الموعد الثامنة مساء ! اللباس ! عشوائي» .

بعد توقف قليل للتفكير ، سارة هابطة الدرج إلى مكتبه المواجه لمكتب لايل . ودقت الباب ، وعندما قال «ادخل» أدخلت رأسها من الباب وقالت : «أحب ان آتي إلى العشاء ، شكراً لك يا تيرانس» .

ـ عظيم ! في هذه الحالة ، تعالي باكراً ، أتفعلين هذا ؟ سأحضر بعض الزهر وترتيبها أنت . لنقل حوالي السابعة والنصف ، موافقة ؟

وهكذا ، فعندما يصل الضيفان ستكون على المركب ترتدي مريلة من البلاستك لوقاية ثوبها وتساعد مضيفها في المطبخ .

وبينما هما ينهيان تحضير العشاء ، سمعا صوت اقدام على السطح مما يدل على ان الموعوان قد وصلا ، ودعاهما تيرانس للنزول وانضم أربعتهم في الصالون ، وتطلع إليها لايل ورفع حاجبه ، مما دفعها للإعتقاد ان وجودها هناك قبلهما قد أشار إلى درجة أكبر من الصداقة بينهما وبين الايرلندي .

وبعد ان حضر تيرانس أكواب الشاي ، بدا فضولياً لمعرفة ما دار بين لايل وبين نائب رئيس الوزراء . وهذا الأمر لا يثير اهتمام راين وسارة ، وبدأت راين بالتحدث معها حول الستائر في أمير الدهيل .

خلال تناولهم العشاء ، استمر الحديث ما بين تيرانس وراين حول بعض ما مر بهما من تجارب في نيويورك ، وشارك لايل ببعض الحديث ، اما سارة فلم يكن لديها شيء تشارك فيه ، فاستمعت وضحكت لتبدو بانها غير متأثرة بوجوده .

وتناولوا القهوة على ظهر المركب حيث وضعت وسائر على المقاعد . وكان أحدهم ، على مركب آخر يعزف الغيتار . وكان الجو مريحاً كما هي العادة على متن المراكب . وبدت العارضات المصنوعة من الالمينيوم تملع وكانها الفضة تحت ضوء القمر ، واقترح عليهم تيرانس قائلاً :

ـ اسمعوا ، بما ان يوم بعد غد هو الأحد ، فلماذا لا نستفيد من هذا النهار ونجر نحو جزيرة صغيرة غير مأهولة ، لقد قيل لي ان هناك أماكن رائعة حول جزيرة بوبي ، وبما انك خبير أكثر مني بالملاحة يا لايل ، تستطيع حقاً ان تجر بالمازنيغا بشكل رائع .

وقالت راين : «انها فكرة رائعة . وأنا طباخة ماهرة للمشاوي . سنشتري العديد من أضلاع اللحم والنقانق . وإذا لم يكن لديك براد صغير للمرطبات ، سأشتري لك اثنين كهدية يا لايل ، فسيفيدانك في السيارة عندما تشتري الطعام .

وتم الاتفاق ، في حال عدم وجود احداث تحتاج إلى التغطية يوم الأحد إن يذهب جميع موظفي الجريدة برحلة بحرية في الكاريبي يشارك الجميع في تغطية مصروفها .

وعندما انتهت حفلة العشاء ، قال لايل :

ـ هل لنا ان نوصلك إلى البيت يا سارة ؟

وقبل ان تجيب سارع تيرانس إلى القول :

ـ لا سأوصلها سالمة بنفسي ، فأنا أحب ان أتمشى قبل ان أنام .

وقالت راين : «شكراً لك على هذه الأمسية الجميلة يا تيرانس ، تصبحين على خير يا سارة . لن أذهب إلى البلد غداً . سأمضي النهار بكسل وأنام» .

وشكر لايل مضيفه على وجبة الطعام وأضاف بخشونة : «تصبحين على خير يا سارة» فأجابته «تصبح على خير» .

وانتظرت حتى عبرا السلم الموصل إلى البر وقالت لتيرانس :

«سأساعدك في التنظيف» .

ونزلا إلى الأسفل ونظفا الطاولة ، ولكن الصحون كلها كانت وسخة لذا قال تيرانس : «لن أزعج نفسي بغسلها هذه الليلة» .

وتذكرت ماذا فعل لفاشتي حتى صفعته على وجهه فقررت ان تبقى في الجانب السليم ، فقالت : «إذا كنت لا تريد مساعدة بغسل الصحون فالأفضل ان أعود الآن إلى البيت يا تيرانس» .

ـ كما تشائين .

شعرت تماماً انها من غير طرازه ، ، وهو من غير طرازها ، حتى ولو لم يكن لايل موجوداً في حياتها ، فلن تقيم أبداً علاقة مقربة مع تيرانس . ولكن

هذا لم يمنعهما من تبادل الحديث في النصف ميل الذي سارا خلاله ليصلا إلى بيتها .

***

بدأت رحلتهم البحرية عند الساعة العاشرة من يوم الأحد صباحاً بعدما تجمع كل من يعمل في الانديبندنت ، على سطح المركب . كانت المجموعة تضم : دودلي المصور الجديد ، ولم يمض عليه اسبوع في العمل . غلوريا ، التي تعمل في مكتب الطابق الأرضي في القضايا الغريبة والتحقيقات ، وغاري .

كانت سارة ترتدي البكين تحت الشورت وقميص تي شيرت أميركي عليه صورة شط على الصدر . والعديد منهم كان يرتدي أيضاً تي شيرت عليه شعارات وكانت الكتابة على قميص تيد تقول : «زوجتي مجنونة . بي» وقميص راين عليه صورة بضع بالونات وكلمات عيد سعيد . اما لايل فكان على قميصه «اسبوع الأبحار في الانتيك ١٩٧٧» ، وربما كان يعود إلى اشتراكه في أسبوع السباق الكبير عام ١٩٧٧ بمركبة «تاليا» . وقال تيرانس للايل :

ـ ستكون القبطان اليوم ، يا صديقي القديم . سأكون سعيداً بالراحة .

كانت راين قد عملت في الملاحة مع أخيها من قبل ، وجيف لديه خبرة أيضاً . وهكذا بدأت المازنيغا رحلتها بينما جلس الركاب على سطحها .

وما ان أصبحوا في عرض البحر حتى شعرت غلوريا بالغثيان من البحر . وبدت ايمي منزعجة ، وسألت تيرانس إذا كان لديه شيء يوقف دوار البحر .

ـ دوار البحر في مثل هذا الطقس الجميل ؟ لدي شراب سيوقفه في الحال . وتقدمت سارة من لايل قائلة :

ـ غلوريا تشعر بالدوار . ما هو أفضل شيء لها ؟

ـ سألقي نظرة عليها .

وتقدم من غلوريا وقال لها :

ـ أنا آسف لانك تشعرين بالتعب ، ولكن هل تناولت الفطور هذا الصباح ؟ وهزت رأسها بالنفي ، فهي فتاة ممتلئة ، وقد تخلت عن الإفطار على أمل انقاص وزنها . فقال لايل :

ـ إذاً هذا نصف سبب مشكلتك . تناول بعض البسكويت الجاف وستشعرين بالتحسن . بسكويت أو خبز وكثير من الماء . دون أي شراب آخر .

ـ هل آخذها إلى الداخل لتستلقي ؟

ـ لا ، فلن تشعر بالتحسن تحت . الأفضل ان تستلقي هنا .

وعندما عاد تيرانس بالشراب ، قال له لايل : «لا تعطيها منه ، هل لديك بعض أقراص الستوجيرون ؟

وابتلع تيرانس الشراب قبل ان يذهب ليحضر الدواء الذي أشار به لايل . وبعد قليل كانت غلوريا تشعر بالتحسن .

الآن وقد انسابت المازنغافون مياه المحيط ، يدفعها الريح بدلاً من المولد الموجع ، أخذت سارة تفكر «هذه هي الحياة ، وأنا أريدها هكذا جزء من حياتي» . وتمنت لو ان عندها خبرة لايل ، وصممت ان تتعلم الابحار حتى تستطيع في مناسبة أخرى مساعدته بكفاية كما تفعل راين .

كم كان هذا اليوم سيدو رائعاً لو ان الثلاثة لوحدهم ، لايل وراين ، وهي ولو انه أقل عدائية . وشعرت انها الشخص الوحيد الذي لا يلاقي اهتمامه . ولم تستطع تخليص نفسها بسهولة من كليف وجيف ودودلي . ولكن ولا مرة خلال الرحلة جلس معها لايل أو سبح .

وانتهت الرحلة البحرية بحفلة أقاموها في مبنى الجريدة . حيث تناولوا

الطعام من أحد المطاعم .

هذه المرة رافق دودلي سارة إلى منزلها . قبل ان يأتي إلى الجريدة ، كانوا يعتمدون على خدمات والده ، مصور بالبلدة التجاري . الذي كان بارعاً بالتصوير الشخصي أكثر من التصوير الصحفي . وعلى الرغم من ان دودلي غير معروف للعامة ، فان سمعته كمصور صحفي كانت عالية مثل سمعة لايل المراسل . والسبب لعدم انضمامه للموظفين منذ البداية كان لانه كان يعمل بعقد مع مجلة أسبوعية فرنسية .

وسألته وهما يسيران نحو المنزل : «أين تنصحني بأخذ دروس في الملاحة يا دودلي ؟ هل تظن ان معلم الرياضة المائية في فندق بارادايز قد يقبل بتلميذ من خارج الفندق ؟» .

ـ ممكن جداً . . لقاء أجر ضخم . ولماذا تضيعين مالك وهناك أشخاص قد يكونوا مسرورين لتعليمك ؟ مثلي أنا مثلاً .

ـ هذا لطف منك . ولكنني أرغب في دروس مكثفة ، ولا أتوقع منك ان تدربني على هذا الأساس .

ـ ولم لا ؟ سيستغرق تعليمك اثنى عشر ساعة ثم تصبحي بحارة ماهرة ، وأنا أتحدث بحق الابحار في زوارق صغيرة ، وبتعليمات فردية ، اضافة إلى بعض الدروس في كتاب خاص بالابحار . إذا كنت تريدين التحقق من كفايتي لتعليمك ، اسألي عني في نادي اليخوت . لقد كنت أبحر منذ كنت في السابعة من عمري ، عندما اشترى لي والدي زورقاً صغيراً احتفظت به إلى ان بلغت السادسة عشرة . سأعطيك درساً تجريبياً في زورق والدي «وايغارر» .

ووصلا إلى بوابة منزلها ، وترددت سارة قبل ان تجيب ، فإذا قبلت عرضه ، هل يقودها هذا إلى تعقيدات ؟ تستطيع القول انه وجدها جذابة ، وأحبته بطريقة ودية . كان متوسط الطول ، جسمه نحيل ولكن قوي ، ومثل

سكرتيرة لايل ، لديه لمحة من دم صيني في تقاسيم وجهه .

وقالت له وهي تبتسم : «حسن جواً ، شكراً لك . سأراك غداً عمت مساء» وابتسم لها وقال : «عمت مساء» ومضى في طريقه .

في الصباح التالي دخلت راين مسرعة إلى المكتب وقالت :

ـ أتيت لأودعكم ، فأنا يجب ان أسافر على جناح السرعة .

وسألتها سارة متعجبة «أوه . . . راين ولماذا ؟» .

ـ بينما كنا ننعم بالشمس أمس ، انزلقت حماتي المسكينة على الثلج وكسرت رسغها ، واتصل بول بي قبل الفطور . أنا تعيسة لانني سأعود قبل الموعد الذي قررته . ولكن ليس بمقدوري شيء أعمله ، في المدة القادمة سنأتي معاً وسنجلب الأطفال معنا . وداعاً يا عزيزتي سارة وانحنت راين وقبلتها على وجنتيها قبل ان تودع الآخرين .

كان درس الابحار من أجمل الساعات التي أمضتها سارة في حياتها . وكانت «الوايغارر» مركب شراعي صغير وقوي ، من الممكن الابحار به ببحار وطاقم ، وبرفقتهم عائلة من أربع أشخاص .

وتحدث دودلي باختصار عن اجراءات السلامة ثم خرج بها ببطء حول الميناء الكبير ، ليعرض أمامها ثلاثة قواعد أساسية لابحار ! بسط الأشرعة . . . لسير . . . وثم الانزال من جديد ، وقبل ان ينتهي الدرس كان قد أظهر لها كيفية التعرج وتغيير الاتجاه وماذا يعني الإستقرار ، وادارة المركب نحو الريح ، وارخاء الشراع الأساسي .

لقد كان أستاذاً صبوراً وصاف التفكير ، وركز على أهمية أن لا يترك العنان للشراع الرئيسي عند الابحار بقارب صغير . والحاجة إلى اطلاق كل الأشرعة عند الخطر ، ولم تكن لتتمتع بوقتها أكثر إلاّ لو كان لايل هو المعلم ، ولربما من تكون قادرة على التعلم منه بهذا القدر ، فمن الأسهل

التركيز مع أستاذ قد يكون له تأثير على الفتيات الأخريات ، ولكن ليس عليها .

بعد الدرس ، أخذها إلى منزل والديه ، حيث صنعت أمه القهوة لهما بينما علمها دودلي بعض العقد المفيدة . وعندما عرف ان سارة تستيقظ باكراً مثله اقترح عليها درساً قبل تناول الفطور في اليوم التالي ، لم يستغرق استكمال اجراءات للشراء منذ لها كثيراً من الوقت ، وفي وقت قريب جداً أصبحت سارة المالكة السعيدة «لكوخ كورديا» كما سوزان تسميه ، أخذه الاسم من شجرة في الحديقة .

وقررت الإنتقال فوراً . راضية بالإنزعاج من التعليمات وهي موجودة فيه وقانعة بالسرور لكونها أصبحت تسكن لوحدها ، واشترت لآل شاربون ، فازكريستال جميلة ، عرفت بان سوزان ستعجب بها ، كهدية لعرفانها بالجميل للطفهم معها .

وفي وقت قليل أصبحت على صداقة مع جيرانها ، الذين هم ، كمعظم الناس في المنطقة ، في عوز شديد ولكنهم يعملون باحترام في الأشغال اليدوية . على أحد جانبي البيت يسكن شاب وعائلته ، وعلى الناحية الأخرى عامل طريق متقاعد لا تزال زوجته تعمل كخياطة .

ومر شهر دون أحداث ، ووقعت هي ودودلي في هواية الابحار معاً كل صباح تقريباً من قبل شروق الشمس إلى وقت الافطار . حيث كانا يتناولانه في مقهى على الشاطىء ، ويغيران ملابسهما في المكتب .

ولم تعد تذهب إلى أمير الدهيل عند الأمسيات أو في نهايات الأسبوع لانها كانت مشغولة جداً ببيتها ، وصلتها مع لايل لم تكن أكثر ولا أقل مما بين موظف ورب عمله . أحياناً كان يجري بينهما حوار عرضي حول شيء ما لا علاقة له بالعمل ، مثل قوله لها انه منذ اشترى البوقية ، عرض عليه الكثير من السكان قطع أثرية .

وأمضت الكثير من أوقات فراغها تدهن المنزل ، من الداخل والخارج كما أمضت العديد من الساعات وهي تمعن التفكير بأصحبة بردته تجاهها .

وكتبت مرة رسالة طويلة لصديقتها ليز ، تخبرها بكل شيء ، وتسألها رأيها والنصيحة . ولكنها لم ترسل الخطاب أبداً ، فقد مزقته في الصباح التالي ، فمشاعرها نحو لايل كانت خاصة جداً لتشاركها مع أي كان ، حتى مع أقدم وأقرب صديقة لها .

لقد عانت سارة كل حيرة القلب التي تعانيها فتاة واقعة في الحب في تلك الفترة التي كان بها بارداً بشكل غريب تجاهها ، وأعادت مرة اثر مرة تذكر كل شيء قالته له أو قاله لها .

هل ارتكبت خطيئة كبرى بتناسيها ان الرجل بطبعه صياد ؟ هل كانت تلك الدعوة الساذجة هي التي أبعدته عنها ؟

ردة فعله المباشرة لم تكن باردة على تلك الدعوة . ولكنه فيما بعد دعاها «دليلة» وقبلها وفي نفس اليوم قال لها : «لم أكن أنوي فعل هذا ، ولكنك لسوء الحظ تملكين براعة في اثارة مشاعري الطيبة» .

في أحد الأمسيات ، قام الشاب الذي يسكن في المنزل المجاور بتثبيت لوحة عليها اسم «كوخ كورديا» ، كان صنعها بطلب منها . وفي الليلة التالية حضر جيرانها لشرب المرطبات ورؤية كيفية ترتيب البيت . الستائر والأغطية صنعتهما لها السيدة جاكسون الخياطة .

ولم يكن أحد في الجريدة يعلم ان بيتها أصبح جاهزاً لاستقبال الضيوف ، والعشاء لاثنين ، الذي قال لايل انه سيلزمها به .

بعد ظهر اليوم التالي أجابت سارة على الهاتف الداخلي وسمعت غلوريا تقول : «هناك رجل يريد مقابلتك آنسة غراهام ، يدعى السيد نبسون» .

ـ سأحضر حالاً يا غلوريا .

وكانت مشغولة بكتابة صحفة المرأة ، فتناولت قلماً ودفتراً وهرعت نازلة طابقين ، وهي تأمل ان تكون المقابلة قصيرة .

كمعظم الصحف ، اجتذبت الانديبندنت بعض المهووسين الذين يأتون لأسباب مختلفة للتحدث إلى المحررين . مثل هؤلاء كان من السهل التعرف عليهم كمضيعين للوقت . ولكن عادة يحضر أحد الموظفين للاستماع إليهم بصبر ، هذا إذا لم يكن الجميع مشغولين بأعمالهم . ومن ناحية أخرى قد يكون السيد نبسون يحمل معلومات مفيدة .

في المكتب ، كان هناك شخصان ، امرأة تملأ قسيمة اعلان والسيد نبسون ، وعندما رأته ، صاحت صيحة تعجب غير مصدقة :

ـ رودي . . . ما . . ماذا تفعل هنا ؟

ـ جئت لزيارتك . . كيف أنت يا سارة ؟

وقبل ان تفيق من صدمتها تقدم نحوها واحتضنها . وعندما تراجع ، كان على سارة ان تغير من تعبير وجهها لتخفي الرعب الشديد الذي تبع دهشتها بقوة . فآخر شخص كانت ترغب في رؤيته في أيامها الصعبة من حياتها هذه هو رودريك بنسون . ولقد أظهر ذكر اسم بنسون والذي لم يذكرها به ، كم كانت لا تفكر به مطلقاً منذ ان قدمت من انكلترا . وسألته :

ـ لماذا لم تبلغني بقدومك مسبقاً ؟

ـ لقد كان قراراً وليد ساعته . نحن لا نستطيع التحدث هنا ، هل هناك مقهى قريب نستطيع الذهاب إليه ؟

ـ لا أستطيع مغادرة المكتب إلى ان يأتي شخص آخر . إذ يجب ان يبقى شخص ما لتلقي المكالمات في حال حدوث أنباء مهمة ، من الأفضل ان تأتي معي إلى فوق في غرفة المحررين لبعض دقائق .

كانت تعلم انها لم يبدو عليها انها ترحب به كثيراً ، ولكن كيف لها ان

ترحب به وقدومه المفاجيء قد ملأها بالقلق ؟

ـ كم مضى عليك وأنت هنا ؟ وأين تنزل ؟

ـ حتى الآن الجواب على السؤالين : لا أعرف . لقد قدمت في رحلة انتظار . أحدهم ألقى سفره في اللحظة الأخيرة وأخذت مكانه . ولكن أين أنزل ، فلن أعرف هذا حتى اتصل بمكتب الرحلات السياحية . لقد اتصل مكتب السياحة في المطار بالمكتب الرئيسي ليطلب حجز غرفة لي . وأصريت على فندق جيد فلا أريد ان أعلق بفندق رخيص ، أو في بيت أشباح .

ـ قد لا يكون لديك خيار . فالموسم في أوجه ومعظم الفنادق مليئة ومحجوزة . أوه يا رودي ، ماذا فعلت ! أمامي مشاغل كثيرة في هذه الأيام وليس عندي وقت أضيعه .

ـ ماذا يعني هذا ؟ أيعني ان لديك غراماً تمرين به ؟ لقد ذكرت أمك شيئاً من هذا لأمي .

ـ من المؤكد ان أمك لم تفهم جيداً . فما يشغل حياتي الآن ليس الحب . انه العمل ، وتعلم الابحار و . . .

وابتلعت سارة الباقي ، فإذا لم يسمع بالأمر عبر والدتيهما ، فمن الأفضل ان لا يسمع شيئاً عن بيتها الصغير . وقالت له عندما وصلا إلى الطابق الثاني : «يمكنك الاتصال بمكتب السياحة من هنا ، فإذا وجدوا غرفة لك في مكان ما فحالما يكون لدي وقت سأوصلك . لقد اشتريت سيارة صغيرة» .

وبينما هي تتحدث كانت تبحث له عن الرقم وتطلبه له ، واستلم رودي السماعة منها ، وبعد محادثة قصيرة غطى السماعة وسألها : «أي نوع من الفنادق هو فندق بارادايز ؟» .

ـ أغلى فندق في الجزيرة .

ودون ان يسأل عن أسعاره ، أبلغ رودي من يتكلم معه انه سيقبل الغرفة في ذلك الفندق . وقبل ان ينهي المكالمة وصل جيمي ، وأصبحت سارة قادرة على تركه في المكتب بينما هي تبدي اهتمامها بضيفها غير المتوقع وغير المرغوب به .

ـ أرجو ان لا تكوني مشغولة جداً لتتعشي معي هذا المساء ؟

ـ لا ، ليس لدي عمل الليلة ، ولكنني غداً مشغولة ، فهو دوري في العمل نهاية الأسبوع .

ـ ألن يقبل أحد ان يحل مكانك إذا شرحت لهم الوضع ؟

ـ لا أحب ان أطلب هذا النوع من الجميل يا رودي . لم تخبرني بعد كم ستبقى هنا ؟

ـ هذا يتوقف فأنا أتأمل برحلة عودة على لائحة الإنتظار ، ولكنني لم أسجل عليها بعد .

ولم نسأله على ماذا يتوقف الأمر ، ولكن تبقى المحادثة معه بعيدة عن الأمور الشخصية قدر المستطاع بدأت تشير إلى معالم البلد ، بما فيها «شجرة الألم» القديمة . وسألها : «لماذا دعي بهذا الاسم ؟» .

ـ لان أوراقها كانت تخمر أو تستخدم كمّادات لشفاء كل الأنواع المصروفة تقريباً من الأمراض ، وكانوا يكافئون الشجرة بدق قطعة مال معدنية فيها أو مسمار . هل تعلم انه كان هناك جمال هنا ؟ لقد جلبوا إلى هنا لحمل قصب الخيزران .

وتابعت تتحدث عن كومبوستيلا ، وعن ماضيها المضطرب وعن مستقبلهما المليء بالأمل ، إلى ان وصلا إلى الفندق . وهناك سبحا وتناولا المرطبات ، ثم عادت سارة نحو البيت لتغير ملابسها لتتعشى معه .

في فندق باردايز ، خلال الموسم ، من المتوقع ان يلبس الرجال بذلات

برباط عنق ، والنساء ثياب سهرة ، والثوب الوحيد الذي تملكه اشترته لمناسبة معينة ، وهذه الليلة ليست هي المناسبة التي فكرت بها ، لقد كانت تأمل ان يكون أول رجل ترتديه له هو لايل .

وأشرق وجه رودي عندما شاهدها تقف عند المدخل فترك كأسه وأتى ليقابلها . «تبدين رائعة يا سارة» .

فابتسمت له وقالت : «شكراً لك» ولكن اعجابه بها لم يسرها . فهناك رجل واحد فقط في العالم ترغب في ان ينظر إليها هذه النظرة .

ـ يجب ان نتعشى باكراً ، فلا بد انك تشعر بالتعب من جراء رحلتك .

ولم تعجب رودي الطاولة التي أعطيت له ، فقد كانت قريبة من باب الخدم . وبدلاً من ان يطلب تغييرها بهدوء ، أقام الدنيا وأقعدها . وشعرت بالخجل ، وشكرت ربها لانه لم يكن هناك أناس كثيرون ما عدا عمال المطعم . وربما كانوا معتادين على مثل هذا التصرف .

قرب الطاولة الثانية التي جلسا عليها ، كانت طاولة محجوزة لحفلة من اثني عشر شخصاً . وفي وقت متأخر من هذه الليلة ستأتي فرقة موسيقية لتعزف لهم ، ولكن سارة تمنت لو انها تذهب قبل ان يصلوا .

وتفحص رودي قائمة الطعام . والتقى أكثر الأطباق كلفة . كم يلزمها من مجهود لتبقى معه ، فحماستها عندما تكون مع لايل ، لا تدعها تشعر بالإضطراب .

فلايل عندما يلبس شورتاً له وجود وسلطة طبيعية أكثر مما يكونه رودي في سترته البيضاء الخاصة للسهرة ، وساعته الذهبية ، وحذاءه اللميع ، وكل الرموز الثرية التي تفجر ثقته بنفسه .

وبينما هي تفكر بلايل ، دخل بنفسه إلى المطعم ، مجموعة كبيرة من الناس كانت برفقته ، ولكن لانه طويل فقد كان من الممكن رؤيته فوق كل

الرؤوس . واستطاعت ان تتصرف على ثلاثة غيره : نائب رئيس الوزراء وزوجته ، وابنتهما الشابة . والثمانية الآخرون كانوا غرباء عنها . أربعة منهم كان من أهل كومبوستيلا ، والأربعة الآخرون كانوا من الأوروبيين الواصلين حديثاً . كما يبدو من بشرتهم البيضاء بالمقارنة مع بشرة من كان معهم . وسألها رودي :

- من هم هؤلاء ، عجباً ؟

- أبدن رجل بينهم يلبس نظارات هو نائب رئيس الوزراء .

- عرفت الرجل الطويل انه لايل تالبوت ، مراسل التلفزيون ، هل هو في اجازة هنا ؟

ودهشت سارة لان أمها استطاعت ان تقاوم عادتها ولا تخبر السيدة نبسون عمن تعمل عنده ابنتها . ربما كان السبب والدها . فقد أخبرته سارة ان لايل يحاول التخفيف من شهرته كمراسل تلفزيون ، لذا لم تر سبباً يدفعها لتقول لرودي ماذا يفعل لايل هنا .

هل سيلاحظ لايل وجودها ؟

لقد كانت تجلس وظهرها إلى الطاولة الكبيرة ، وترتدي فستاناً لم يره من قبل . وتتعشى مع شاب لا يعرفه . فهناك إذاً فرصة بان لا يلاحظ وجودها ، وحتى لو لاحظها فلن يكون مضطراً لتحيتها . ولكن لو لاحظها ولم يهتم بوجودها مع رودي ، فهذا سيعني ان شيئاً ما قد حدث جعله يفقد الإهتمام بها .

ومرت في رأسها فكرة غير سارة . فبرودة لايل بدأت منذ ليلة تناول العشاء مع نائب رئيس الوزراء ، وربما كانت المناسبة اجتماعية أكثر لذا فقد حضرتها زوجته وابنته .

والفتاة ذكية ، متخرجة من اوكسفورد ، وكانت سارة قد أجرت معها

مقابلة لصفحة المرأة عندما عادت مؤخراً من لندن . ولم تكن جذابة كثيراً ، ولكن لها شخصية مرحة ، وستكرس نفسها لتحسين وضع المرأة في كومبوستيلا .

فهل يا ترى ، رأى فيها لايل وسيلة لتدعيم مركزه بين الناس الأكثر نفوذاً في الجزيرة ؟

فالحزب الذي يستلم السلطة الآن ، يبدو بانه سيبقي .

والقوى الرئيسية الوحيدة الأخرى يسيطر عليها الشيوعيون ، وفي المستقبل المنظور من غير المحتمل ان يصوت أهل البلد لمصلحة المتطرفين .

مرت عليهم أيام تحملوا فيها الفقر بنفس القدر من الصعوبة التي دفعت الكوبيين إلى تأييد استلام الشيوعيين مقاليد الأمور . ولكن مع فقرهم ، في الماضي وفي عدة مناسبات ، وما يزالون ، لا تستطيع سارة ان تصدق أن واحداً منهم ، بروحهم المرحة ، وحبهم للألوان والموسيقى ، يمكن ان يقبل بنظام شيوعي .

وشعرت بتعب في قلبها لهذه الأفكار التي ربما تفسر سلوكه البارد معها . ووقع المنديل منها وانحنت لتلتقطه .

هل ستوزع زوجة نائب رئيس الوزراء ضيوفها بحيث ان تجعل لايل وابنتها يجلسان قرب بعضهما ؟

سارة لن تجرؤ أبداً على ان تستدير لتعرف .

الفصل الثامن

ووصلت الفرقة الموسيقية ، وبدأت العزف . وقال لها رودي عندما بدأت الفرقة عزف لحنها الثاني : «هل نرقص ؟» .

ـ فلننتظر ، لا أحب ان أكون الأولى في الحلبة .

ـ لن نكون الأول . فقد سبقنا هؤلاء .

وأشار إلى زوجين توجها إلى حلبة الرقص «تعالي» ونهض ومد يده لها ، مما جعلها لا تستطيع الرفض .

ولم تلتفت سارة إلى الطاولة الأخرى عندما مرا بها ، ورودي يمسك بيدها . وتبع اللحن السريع ، الذي أظهر فيه رودي مهارته بالرقص لحن رومانسي بطيء ، وعلى الرغم من ان الحلبة لم تكن مكتظة بالراقصين فقد وضع ذراعاه حولها وراقصها وكانهما يرقصان في ناد ليلي . وقالت له بعد الرقصة الثانية : «لنرتاح قليلاً يا رودي» .

ولم تكد تعود لتجلس حتى سمعت صوت لايل يقول لها بنعومة :

ـ مساء الخير يا سارة .

ورفعت سارة رأسها لتنظر إلى وجه لايل .

ـ مساء الخير . . هذا رودريك بنسون . . . لايل تالبوت .

وقال رودي وهو يصافحه : «لا تحتاج إلى أي تعريف سيد تالبوت . سارة لم تقل لي انها تعرفك . أعتقد انها أجرت معك مقابلة للجريدة ؟ .

ـ لا فأنا من أجرى معها المقابلة ، فهي تعمل لي ، فأنا أملك الجريدة .

وتحولت حيرة رودي إلى دهشة : «لم تخبريني بهذا يا سارة» .

ـ انها فتاة تحب المفاجآت ، كما ستكتشف عندما ستعرفها لفترة أطول .

ـ أنا فعلاً أعرفها منذ فترة طويلة . كم مضى علينا ؟ ثمانية سنوات ؟

وجاء دور لايل لان يكون مندهشاً ، وقالت سارة :

ـ تقريباً . فعائلة رودي أصدقاء لعائلتي .

وقال لايل : «وهل تعمل أيضاً في كومبوستيلا سيد نبسون . هذه مصادفة سعيدة . مفاجأة جديدة من مفاجآت سارة . ويه تفسر أشياء كثيرة» .

ماذا يعني بهذه الملاحظة ؟

وقال رودي : «لا ، لا ، أنا لا أعمل هنا . لقد حضرت لرؤيتها» .

ـ حقاً ؟ كم ستبقى هنا ؟

ـ أسبوع على الأقل . وربما أكثر .

ـ بما انك سافرت كل هذه المسافة لرؤيتها ، يتوجب علينا ان ندبر لها وقت فراغ أكثر . سنتحدث عن هذا في الصباح ، اما الآن فتمتعا بوقتكما .

وانحنى لهما وعاد إلى طاولته . وقال رودي بعد ان عاد إلى مقعده :

ـ يبدو انه رجل لطيف . لماذا لم تخبريني انك تعملين معه ؟

ـ أنا . . لم أسرّ لرؤيته هنا . فمن غير المريح ان يكون المرء في أوقات فراغه تحت أنظار رب عمله .

وأشار رودي إلى الساقي وهو يقول : «إذاً سنذهب إلى مكان آخر» .

- لا ، يجب ان تذهب للنوم ، ألست تعباً ؟

وطلب الفاتورة ، وتابع : «لست تعباً أبداً . ربما لانني غير معتاد على النوم باكراً» .

- ولكنك تبدو تعباً يا رودي وأنا واثقة انك لن تستطيع المقاومة أكثر .

- بعد ساعتين من الآن ربما ، سنعود إلى المقهى .

- لا أريد ، وبصراحة أريد العودة إلى البيت . فأنا تعبة ، ورأسي يؤلمني .

آسفة يا رودي . ولكن يجب ان تعذرني الليلة .

وأصبح على الفور قلقاً عصبها ، وعرض ان يوصلها إلى البيت ويعود إلى الفندق بالتاكسي ، وحتى الوقت الذي اقنعته فيه ، وودعته ، وقادت سيارتها ، أصبح صدغيها ينتفضان من الألم . لقد مر عليها توتر أكثر من طاقتها . ولا تريد شيئاً سوى ان تزحف صاعدة إلى فراشها وان تقذف هذه الأمسية البائسة المزعجة من ذهنها .

* * *

بعد ساعة من وصول لايل إلى المكتب في اليوم التالي ، قدمت فاشتي لتقول لسارة انه يرغب في رؤيتها . وعندما دخلت غرفته قال :

- صباح الخير . . كنت أتطلع إلى مفكرة الواجبات لأرى ماذا أستطيع ان أفعل حتى لا يجد صديقك الشاب نفسه وحيداً ، وكبداية تستطيعين ان تأخذي اجازة إلى ما بعد نهاية الأسبوع .

- لطف منك ان تهتم هكذا ، ولكن رودي ليس صديقي الشاب ، ولن أرغب في ان ألقي بواجباتي في نهاية هذا الأسبوع على ظهر شخص آخر .

ووقف، وسار من حول الطاولة ليغلق الباب وقال :

- تردد جدير بالثناء ، ولكنه غير ضروري . سأتولى بنفسي الواجب الأسبوعي ، ولن أنزعج لان لدي عمل لأقوم به أيضاً . ربما كان من الأفضل ان أشير إلى نبسون بانه أحد أصدقاءك ، على الرغم من انه قد يظن انه يستطيع الادعاء بملكية معينة ، فلا يوجد رجل يقطع الأطلسي ليرى فتاة لا تعني له شيئاً .

- لقد سافر على لائحة الإنتظار ، وهذا أرخص .

- ولكن الأمر مكلف أيضاً .

- إذا كان يجب ان تعرف ، لقد طلب مني الزواج قبل ان أغادر انكلترا . فقلت له انني لا أحبه ، ولكنه معتاد ان يحصل على كل ما يريد . فعائلته غنية ، ويصرف المال كالماء . والسفر إلى هنا لا يعني له شيئاً .

- لم يبدو عليك انك لا تشجعيه ليلة أمس .

- لم أستطع رفض العشاء معه . فهو لا يزال صديقاً لي .

- صديق ترتدي له ثوباً ، قالت لي النساء الجالسات على طاولتي ، انه لا يلبس إلاّ لمناسبات خاصة جداً . في الواقع مر في ذهني خاطر مقلق بانني سوف اضطر للبحث عن بديل لك .

- لقد اخترت الثوب ليتناسب مع المكان ، وأصدقاءك كانوا يستنتجون أشياء غير واقعية . كما قد أستنتج أنا مثلاً انك تضع عينك على ابنة نائب رئيس الوزراء .

- وهل ظننت هذا ؟

- قد يكون زواج فيه منفعة لك .

- كما قد يكون نبسون لك ، إذا كان لا يأبه بالمال .

- لن أتزوج أبداً من أجل المال .

ـ ولكنك سريعة في ايجاد الدوافع للآخرين .

ـ لم أقل انني أظن بانك تلاحقها فعلاً ، بل فقط انها امكانية ملحوظة ، كما ظن أصدقاءك برودي .

ـ انهم ليسوا أصدقائي . صاحب جريدة يجب ان يكون له اتصالات بكل الأوساط ، إذا أراد ان يقوم بعمله بشكل كامل . فنائب الرئيس ، كما أظن ، هو سياسي شريف ، ويرغب في الأفضل للجزيرة بنفس القدر الذي يرغب بالسلطة لنفسه . وكلهم كانوا أناس شرفاء محترمين ليس بيني وبينهم أي شيء مشترك سوى تجنيب هذا الجزء من الكاريبي كل أنواع الإستغلال بما فيه التشكيلة الماركسية اللينينية . وأصدقائي كلهم تقريباً صحافيون ، وأحدهم صهري .

واستدار نحو طاولته والتقط رزمة وقال :

ـ لقد وصلتني أخبار من شقيقتي بالأمس . وأرسلت لي بعض الأشياء التي طلبتها . وهذه لك .

ـ أتساءل . . ما يمكن ان تكون ؟

ـ افتحيها وانظري بنفسك .

للمرة الأولى منذ وقت طويل كانت هناك لمحة دافئة في عينيه . كان فيها طبقتان ملفوفتان : ورقة بنفسجية غامقة فوق قماش بنفسجي فاتح ، فيهما ما بدا لها أولاً مشلحاً زهرياً أو وشاحاً ، إلى ان عرفت بان القماش الحريري ليس إلاّ سروالاً شرقياً ، كانت راين ترتدي مثله ، وصدمت ، وتهلل وجهها .

ـ سوال شرقي ! وبلوني المفضل . كم هذا لطيف منها .

وانحنى لايل ليلتقط بطاقة وقعت إلى الأرض .

ـ هناك رسالة معه .

على أحد وجهي البطاقة كان مطبوع عليه «مع حبي» وعلى الوجه الآخر كتبت راين : «لاسعاد الرجل الذي في حياتك» .

هل خمنت شقيقته من هو هذا الرجل ؟ وتلعثمت الكلمات على لسانها ولم تخرج أبداً ، فقبل ان تستطيع التلفظ بشيء قرع الباب وقال لايل : «ادخل» وأطل رأس جيمي «مخابرة لك يا سارة» . . «سآتي حالاً» وقال لايل : «إذا كان نبسون ، فتذكري انك حرة في نهاية هذا الاسبوع كله» «ولكنني . . .» ـ «لا تجادلي ، هيا اذهبي» . . . وعاد إلى طاولته لمراجعة أحد المقالات .

وبقي رودي أسبوعاً . وكان مضطراً للبقاء . فلقد تقدم بطلب آخر يوم الأحد وأخفق وكان عليه الإنتظار أربعة أيام أخرى قبل ان يحصل على رحلة العودة إلى لندن . وقبل ان يفترقا . قال لها : «حياتك هنا رائعة يا سارة . ولا أظن أبداً انك ستعودين . لو كنت مكانك لما كنت واثقاً من العودة» .

وراقبت الطائرة وهي تقلع وشعرت بالراحة لانها أصبحت حرة من الإلتزام بقضاء الوقت معه .

كان الأمر كما قال تماماً . فلديها هنا حياة جديدة . لايل ، الابحار ووظيفتها ، بيتها وجمال الجزيرة ، كلهم يزودونها بما نحتاج إليه . وكانت الرسائل الأسبوعية من والديها والرسائل الأقل وصولاً من ليز هي الصلات التي لم ترغب في قطعها . ولم تشعر أبداً بالحنين إلى الوطن وكيف لها ؟ وهي تشعر وكأنها في وطنها هنا ، كما لم تشعر من قبل .

يوم الأحد الذي تلا سفر رودي ، دعاها تيرانس مع دودلي وجيف للابحار بالمازنيغا . وعندما وصلت لم يكن الأخران قد وصلا . وقال لها تيرانس موضحاً :

ـ لقد علم دودلي ان هناك شخصية مشهورة وصلت تحت اسم مستعار

إلى هنا يوم أمس . وهو مصمم على ان يتأكد . لذا سينضم هو وجيف إلينا فيما بعد ، لقد أخبرتهم أين ستتناول الغداء ، وسيأتيان بالسيارة للإنضمام إلينا . لقد قال دودلي انك أصبحت بحارة ماهرة ، وسنقود أنا وأنت المركب حتى «شل كريك» ووافقت سارة قائلة : «ليس هناك مشكلة» .

لقد كانت ترغب في اظهار مهارتها في الابحار على متن المازنيغا . ولكي يصلا إلى «شل كريك» عليهما المرور بأمير الدهيل . ولم يكن هناك أحد لا على الشاطىء ولا على الشرفات . ولكن لو ان لايل موجود في غرفته ولاحظ مرور المازنيغا بلونها البرتقالي المميز ، واستخدم المنظار المكبر وعلم انها لوحدها مع تيرانس ، لتساءل عما تفعله وحيدة مع مدير اعلاناته .

استغرقت الرحلة للوصول إلى «شل كريك» أقل من ساعتين . حيث سبحا وتحدثا بانتظار قدم الآخرين . وكان حولهما عدة نجوت راسية ، وبضع حفلات على الشاطىء . في كومبوستيلا عدة شواطىء رائعة لا تكون عادة مزدحمة حتى أيام الأحاد .

وقال تيرانس عندما أصبحت الساعة الواحدة والنصف ولم يظهر أحد .

- يبدو ان شيئاً أعاقهما . أعتقد من الأفضل ان نبدأ الغداء دونهما .

وتناولا الغداء على سطح المركب . وسألها تيرانس وهما يأكلان .

- يبدو انك ودودلي تمضيان وقتاً كثيراً مع بعضكما هل هناك حب في الجو .

- بحق السماء إلاّ . انها صداقة فقط . نبحر معاً في الصباح ، وهذا كل شيء . ولا نمضي أي وقت آخر معاً .

- إذاً أنت مثلي ؟ خالية البال ؟

وهمهمت بصوت غير ملتزم ، لتقول ، نعم ليست هذه الحقيقة ، ولتقول ، لا ، فقد يجلب لها هذا عدة تساؤلات . وسألته :

- هل لدى دودلي فكرة عمن هو هذا الشخص الشهير ؟ ماذا قال بالضبط .

- لم يقل كثيراً . كان على عجلة ليبدأ البحث . ربما انقلبت إلى ان تكون قصة أكبر مما توقعه ، وقد عاد هو وجيف إلى المكتب ليطبع الصور ويكتب القصة فوراً . على كل حتى ولو لم يظهرا فأنا سعيد برفقتي الحالية .

بعد الغداء ، عندما قالت سارة انها ترغب في اصطياد بعض الأصداف قال لها : «ولم لا . . أرجو ان لا تمانعي إذا لم أنضم إليك ، فأنا أفضل ان أغفو قليلاً بعد ظهر أيام الأحاد» .

وتركته ممدداً في الشمس وذهبت إلى الشاطىء ، وأمضت ساعة تبحث عن الأصداف ، وتتبادل الحديث مع الناس هناك . وعندما عادت كان تيرانس لا يزال نائماً . ونزلت إلى داخل المركب ونظفت أطباق الغداء . ثم صنعت أبريقاً من الشاي ، ووجدت قليلاً من البسكويت ، وحملت الصينية إلى سطح المركب .

وبينما هما يشربان الشاي قالت : «إذا بدأنا بالعودة الآن سيكون أمامنا وقف كافٍ للتوقف عند أمير الدهيل ، لمعرفة ما يجري . فلو حصلا على شيء ، من المؤكد انهما سيتصلا بلايل» .

وقالت لنفسها : وهكذا أتسطيع ان أوضح له بانني لست لوحدي مع تيرانس بمحض اختياري ، وربما أستطيع ان أبقى هناك وأمضي أمسيتي معه .

ولكن هذا الإقتراح بحماس خفيف . وقال :

- أجل ، نستطيع ذلك . في الواقع كنت أنوي ان أسبح على ذلك الشاطىء الذي مررنا به حوالي نصف ميل شرقي أمير الدهيل . وأمامنا وقت كافٍ لنقوم بالاثنين معاً .

ووصلا إلى الخليج الذي أشار إليه وألقيا مرساة المركب . ونزلا إلى الشاطىء .

ـ انه مكان رائع للغطس ، ومع ذلك لا يوجد أحد هنا .

ربما الوصول إلى هنا صعب عن طريق البر .

ـ أجل ، يبدو انه صعب حتى على الماعز .

وأشار إلى بعض الماعز على الهضبة .

وسبحا ثم عادا إلى المركب ، وجلست سارة تجفف نفسها على السطح قبل النزول لتغيير ملابسها عندما فاجأها تيرانس . في لحظة كانت تجفف نفسها بمنشفة ، وفي لحظة أخرى وجدت نفسها بين ذراعيه .

وصرخت به «تيرانس !» وهي تحتج ، فقال لها : «تستطيعين التصرف أفضل من هذا يا طفلتي . هيا» . وجذبها إليه . وعلمت ان التأثر قد بلغ به ، فأخذت تقاومه بعنف .

وآعبها هذا الصراع الذي حدث . ولم يكن ذلك الرجل الطويل أو القوي ، ولكنه رجل ، لذلك فهو أقوى منها . وأدركت انه يتجاهل مقاومتها ، وعندما استطاعت التخلص منه ، كانت ترتجف من الصدمة والإشمئزاز . وكان يقف بينهما وبين الباب نحو الطابق الأسفل ، وإلاّ لكانت استطاعت ان تلجأ في الأسفل ، وتقفل الأبواب ، وتنتظر إلى ان يهدأ . ولكن لم يكن أمامها سوى البقاء بعيداً عنه .

وأخذت تتوسل إليه «لا تفعل . . . تيرانس . . . أرجوك . . . ليس . . . ليس لديك الحق» .

ـ هيا الآن ، لن أؤذيك . . لا لزوم لمقاومتي .

كانت لهجته متملقة ، ولكن عيناه كانتا حمراوان كالدم .

ـ لا تقولي لي انك لم . . . .

وجعلها ذعرها تسرع بالإجابة «أجل . . . أنا أبدأ . . . لم . . . حتى ولو حدث ، فلن أدعك تلمسني .

ـ ستندمين على قولك هذا . لقد صفعتني على وجهي تلك العاهرة الخلاسية المغرورة ، ولن أتركك تخدعيني بهذه السخافات .

وعلمت الآن حقاً انه رجل عنصري . فأي إنسان يستطيع الإشارة إلى طبيعة فاشتي الجميلة الحلوة بهذه الكلمات يجب ان يكون غارقاً في عنصريته . فإذا كانت فاشتي بالنسبة له «عاهرة خلاسية» ، فما هو رأيه السري بمعظم أهالي كومبوستيلا ؟

لسارة ، وجه الكراهية العنصرية له نفس الوجه الكريه للإغتصاب . ولم تكن متأكدة حتى هذه اللحظة انه قادر على التجرؤ على اغتصابها . وقد يعود له عقله قبل ان يفعل . ولكنها لن تخاطر بهذه الفرحة .

الطريقة العادية للقفز إلى الماء من على سطح مركب ، هي الصعود على الحافة الخارجية والوقوف لحظة الغطس . ولكن لو فعلت هذا لقدر أن يمسك بها .

وركضت نحو الحاجز وقفزت من فوقه ، ولم تلمس يداها القوائم الحديدية بينما كان جسدها النحيل يقفز في الغطاء ، ثم يهبط إلى الماء . وحالما صعدت إلى سطح الماء بدأت بالسباحة ، وهي تسمع صراخاً غاضباً من فوقها . ولكن ، لانه ليس سباحاً ماهراً لم يكن من المحتمل ان يقفز تيرانس وراءها . وفي الوقت الذي سيجلب فيه الطوافة قرب السلم ينزل إليها ستكون سبقته بكثير .

وسبحت بقوة لمئة يارد ، وتطلعت خلفها لترى ماذا يفعل . وارتاحت عندما رأته لا يزال على المركب . يصرخ ويلوح بيديه كرجل معتوه . وعندما

وصلت إلى الشاطىء كانت تشعر بالألم من التعب . ونظرت إلى المركب ولم يكن تيرانس موجوداً ، ربما نزل إلى الأسفل ليتناول شراباً . فمن المؤكد انه مذعور بقدر ما هي مذعورة ، مذعور من الإتهامات التي ستوجهها إليه .

في هذا الوقت كانت الماعز قد اختفت ، ولكن آثار أقدامها كانت تظهر الطريق التي ساروا بها ، وبدا وكان هناك شبكة من الطرقات في ذلك المرتفع . وبما ان الوقت قد أصبح متأخراً ، فقد أملت ان يكونوا متوجهين نحو قرية ما . وتمنت لو تعرف أكثر عن عاداتهم .

فوق الطرق التي شقها الماعز كان هناك أماكن مسدودة بالأغصان ، وكان عليها ان تبعدها عن طريقها قبل ان تتابع . ولم يمض وقت طويل حتى شعرت بأطرافها وجسدها غير المحمي ، وقد حمل العديد من الجروح . بعضها عميق بما فيه الكفاية لينزف دماً . وعانت من ألم قدميها أكثر من أي شيء آخر . فالطرق كانت قاسية وموعرة ، وقدماها المعتادتان على الكريم ، أصبحتا الآن حتى انهم مما كانتا في انكلترا .

وظنت نفسها بانها تسير في دوائر ، وبانها ستجد نفسها وقد عادت إلى الشاطىء ، قبل ان تجد طريقها ، ولكنها وجدت نفسها أخيراً على طريق اسفلت وبدت سيارتان تختفيان عن أبصارها مبتعدتين .

وكانتا آخر سيارتين مرتا بها . ومشت لمسافة ميل حتى وصلت إلى حيث الطريق الترابي الذي يوصل إلى أمير الدهيل .

بطريقة ما كانت مسرورة بان أحداً لم يمر ، فقد يكون من الصعب عليها تفسير سبب وجودها هناك بالبيكيني ، ورجلاها وسختان ومجرحتان ومليئة بالخدوش من كتفيها حتى أكعابها ، وهي تسير لوحدها .

بعد لحظة من استدارتها لتدخل الطريق الترابية سمعت صوت سيارة تتمهل على الطريق الرئيسي . ووقفت ونظرت إلى الخلف ، واستطاعت

تمييز سيارة لايل . وكان لوحده . فأجلست كتفيها الهابطين وابتسمت ، كتصرف شخص يقترب من نهاية نزهة ريفية لطيفة ، ولوحت له وهو يقترب منها .

وأوقف لايل السيارة قربها ، ونظر إلى وجهها المشرق بالعرق ، وإلى الغبار على ساقيها . والخدوش على جسمها .

ـ ماذا كنت تفعلين بنفسك بحق الشيطان ؟

وقالت محاولة ان تكون ذلقة اللسان «كنت ألعب لعبة راعي البقر والهنود» ثم ارتجفت شفتاها وقالت : «أنا تعبة جداً يا لايل . لا تطرح علي الأسئلة . خذني إلى البيت فقط واعطني شراباً بارداً ، أتسمح ؟

لا بد انه لاحظ ارتجاف فمها التوتر في صوتها . وفتح لها باب السيارة ، وتسلقت إلى الداخل وغرقت في المقعد وهي تتنهد من الإرتياح .

عند مدخل بيته قال لها بهدوء : «قولي لي شيئاً واحداً : هل حدث لك شيء يجب ان تعلم الشرطة به ؟

ـ لا . . . لا . . . لا شيء كهذا .

يجب ان تلجأ للبكاء ، لكن ليس الآن ، بعد ان انتهى كل شيء ما عدا ايضاح ما حصل «ألديك منديل أستعيره ؟» وفتح الصندوق في السيارة وأعطاها علبة محارم . ولدى وصولهما أمام المنزل كانت قد سيطرت على نفسها ، ليس تماماً ولكن بما فيه الكفاية .

وخرجت ، وهي تترنح ، ، من السيارة وسارت نحو الشرفة . ولم تخطو سوى خطوتين حتى وصل إليها وأسندها .

ـ كم قطعت مسافة على قدميك الحافيتين .

ـ أنا . . . لا أعلم . . . ربما ميل .

ـ المفتاح في جيبي الخلفي ، هل تستطيعين الوصول إليه .

وأنزلت يدها من تحت ذراعه وبحثت في جيبه إلى ان وجدته ، ثقب الباب كان في مكان عالٍ تستطيع الوصول إليه وهي في وضعها بين ذراعيه . وفتحت القفل ، أو فتح هو الباب ، وحملها إلى الردهة ومن ثم إلى الطابق العلوي .

ـ لا يوجد أحد هنا الآن ، ولكن قد يأتي أحدهم ، وأتصور انك من الأفضل ان لا ترى أحد منهم قبل تغتسلي . ويمكن ان نفعل هذا في غرفتي .

غرفة نومه كانت قد تغيرت منذ آخر مرة رأتها . أصبح لديه رفوف ملائمة للكتب على طول جدار كامل ، وطاولة مكتب ، ومقعد كبير . وأجلسها لايل فيه . ثم ركع ليتفحص باطن قدميها . وأظهر التواء فمه ان منظرهما لا يسر . ثم أسرع وصب لها كوب ماء وأعطاه لها قائلاً : «اشربي قليلاً ، قبل ان تدخلي وتأخذي حماماً ساخناً . بعد ذلك سأغسل قدميك وأضع لصوق الدواء عليهما . سأنزل إلى تحت لأجلب وعاءً وعلبة الإسعافات الأولية ، ولن أتأخر» .

وبينما هو غائب أكملت شرب الماء ، وأخذت تفكر بماذا ستقول له .

الحقيقة قد تجعله غاضباً وسيطرد تيرانس في الحال . وتيرانس جيد في عمله . ولن يستطيع لايل ان يجد بديلاً جيداً عنه .

وقبل ان تصل إلى أي قرار ، عاد يحمل وعاءً من البلاستيك وحقيبة معدنية مثل علبة العدة إلّا انها مليئة بالأدوات الطبية . وبعد غياب قصير في الحمام عاد وقال لها :

ـ لقد عدلت لك الحرارة . وهناك منشفة حمام نظيفة ، وزجاجة شامبو إذا رغبت في غسل شعرك . اغطسي في الحمام جيداً ونظفي نفسك ، ولكن اتركي قدميك لي .

وللمرة الثانية حملها إلى الحمام وأجلسها إلى حافة المغطس وقال : «لا تهتمي بالدم إذا تساقط على المنشفة . ونادي علي عندما تنتهي .

الرغوة التي سالت على جسدها عندما نظفت الشامبو عن شعرها لذعتها عند الخدوش العميقة ولكن الماء الساخن أراحها وأنعشها . وعندما شعرت بانها أصبحت نظيفة ، أوقفت الماء ، وجففت شعرها ثم لفته بالمنشفة ثم جففت ذراعاها وساقاها وقدماها من فوق . وأخيراً لفت جسمها بالمنشفة ونادته قائلة : «لقد انتهيت يا لايل» .

وحملها هذه المرة إلى اتلدير ومددها عليه بحيث يقع نور النافذة على قدميها ودفع بعض الوسائد تحت كتفيها ، لترتاح .

ـ هناك الكثير من الرمل وقطع الصخور في الشقوق ونظيفها سيكون مؤلماً وسألته وهي تبتسم : «هل لديك حزام جلدي لأعض عليه ؟» .

ماذا يهمها لو انها تألمت كثيراً ، طالما هو بهذه الرقة واللطافة ويقوم بالعناية بها ؟ الحنان والرعاية الحبيبة من لايل تجعل أي شيء محتملاً .

كان بارعاً كالطبيب وهي يعمل . وقبل ان يصبح راضياً بان كل الجروح قد نظفت تماماً كان عليها ان تطبق أسنانها بقوة لتمنع أي أنة ألم تخرج منها .

ـ انك فتاة طيبة ، لقد تحملت كل هذا الألم . سأضع بعض الأربطة المؤقتة ثم أرى الخدوش .

لكن يعالج الخدوش كان عليها ان تجلس على حافة السرير بينما يقوم بتنظيفها بالمطهر . وبعد ان نظف الخدوش على كتفيها وذراعيها رفع المنشفة لينظف الخدوش التي على ساقيها . وعلى الرغم من انه لم يسألها عن أي شيء ، إلّا انها انه لن يمر وقت طويل حتى يحاسبها عن الحالة التي كانت فيها منذ نصف ساعة .

ـ والآن جاء دور ظهرك ، يجب ان تنزل المنشفة قليلاً .

واستدارت سارة جانباً ، وجلست خلفها على السرير وأخذ ينظف الخدوش «على الأرجح سباحة واحدة في مياه البحر ستفيدك أكثر ، ولكن قدماك يجب ان تبقى جافة . أعتقد ان أحدهم فشل معك لذا جعلك تهربين منه . دون حذاء . من هو . . دودلي ؟

ـ دودلي ؟ لا . . . أبداً . . . لا يفعل هذا أبداً .

ـ أي رجل قد يتجاوز حده إذا كانت الإثارة كافية . ودودلي ميتم بك كما هو واضح . . و . .

ـ هذه سخافة . فنحن رفاق ابحار فقط . وليس هنا شيء آخر بيننا .

ـ أنت تدهشيني ، ربما كان ذلك بين الثنايا ، وليس طاهراً ، وان دودلي قد يفكر بك في عقله .

ـ لو انه يفعل لأقترح علي قضاء وقت آخر معه . بعيداً عن الابحار في الصباح الباكر . واليوم كان مشغولاً بالتقص عن خبر ما ، ألم يبلغك به ؟

ـ أي خبر ؟ لا أعلم شيئاً ؟

ـ لقد كان هو وجيف سيذهبان للابحار ، ولكن أحداً أخبره ان أحد المشاهير حضر إلى هنا ، وهو يستحق عناء البحث عن أخباره ، ولا أعلم أكثر من هذا ، ولكن . . .

وتوقفت عن الكلام لسماعها صوتاً في الخارج ينادي . ونهض لايل وفتح باب الشرفة ونظر إلى التراس في الأسفل . من حيث تجلس لم تقدر ان تراه وسمعته يقول : «أوه . . هذا أنت يا تيرانس ، هل جئت لزيارتي ؟» .

ولملمت سارة المنشفة من الألم الذي شعرت به في أقدامها ، ووصلت في الوقت المناسب لتسمع تيرانس يقول : «لا ، لست في زيارة لك ، في الواقع انني واقع في ورطة ، وبحاجة لنصيحتك . لقد حدث شيء مؤسف» .

ـ ما المشكلة ؟

ـ لقد طلبت من سارة ان آخذها للابحار اليوم . وكالأبله وأنا أعترف بهذا ، تركت هذه الفتاة الوقحة تقودني . اللعنة علي ، ما كدت ألمسها حتى ذعرت هذه الطفلة السخيفة وقفزت عن المركب . لم أفعل شيئاً سوى معانقتها ، أقسم بهذا . ولكن الطريقة التي سبحت بها إلى الشاطىء وهروبها إلى الغابة ، قد تحسب انني حاولت اغتصابها . وهذا ما أعتقد انها تقوله للبوليس الآن في سانت جايمس . أسألك ، ما موقفي الآن ؟

ـ اذهب إلى الناحية الأمامية فالباب مفتوح وادخل سأحضر بنفسي بعد لحظة .

واستدار ليجد سارة تقف عند الباب خلفه . فقال لها : «لا يجب ان تقفي على قدميك» .

ثم سار إلى غرفة النوم ، فاعتقدت انه سيتركها هناك ، ولكنه لم يخرج ليقابل تيرانس ، بل أخذ الروب الأحمر الحريري المعلق على الباب . وقال لها : «ارتدي هذا» .

ولم يكن من السهل ان تعرف من التعبير على وجهه ما إذا كان قد صدق تيرانس أم لا . وأدار ظهره وقال : «اسرعي» .

وتركت المنشفة تقع على الأرض وارتدت الروب بسرعة وربطته حولها . لقد كان كبيراً جداً ، وأحاط بها .

واستدار لايل ، وبدأ يلف الأكمام لها ، وكأنها طفلة . وبعد ان انتهى التقط المنشفة ووضعها على مقعد مكتبه . ثم وضع ذراعاً حول كتفيها والأخرى تحت ركبتيها ، حملها عالياً لتستقر على صدره .

واستلقت سارة بين يديه ، وهي مذعورة من المواجهة مع الرجل المنتظر في المكتبة تحت ، ومتلهفة لانكار قصته ومع ذلك خائفة من النتائج ، وبدأت تتساءل بأنه عما سيقوله تيرانس عندما يراها .

الفصل التاسع

في البداية اعترى الايرلندي الذهول ، وراقب لايل وهو ينزلها ليضعها في الكرسي ، وقد أرخى فمه غير مصدق . ثم حل الإرتياح مكان عدم التصديق .

ـ شكراً لله انك سالمة ! من العجيب انني لم أصب بنوبة قلبية ، من الرعب الذي سببته لي بقفزك من فوق سطح المركب يا سارة .

ونظر لايل إليها من موقفه جابيتهما ، وكانت ذراعاه مكتفتان على صدره العريض . ووجهه جامد . وابتلعت ريقها ولعقت شفتيها الجافتين :

ـ لقد كان الأمر كما قال لك . . . لقد ذعرت .

وأبقت عيناها إلى الأسفل ، خائفة من انها لو نظرت إلى الرجل الآخر فتظهر عليها الكراهية والإحتقار .

وبتجرد القاضي قال لايل : «ليس من عادتك ان تذعري دون سبب ، لا أعتقد هذا» ونظر إلى تيرانس «أمتأكد أنت انك لم تقم سوى بعناقها ؟» .

ـ لقد أقسم قبل هذا ، وإذا أردت اعطني كتاباً مقدساً ، وسأقسم على كتاب الله بانني لم أفعل لها شيئاً أكثر من هذا .

وسألها لايل : «صحيح أم كذب يا سارة ؟» .

وأجابته بصوت منخفض : «صحيح . ولكن ما هو غير صحيح قوله انني أنا من جررته . فهو أقرب لعمر والدي . لقد وافقت فقط عندما قال ان دودلي وجيف كانا سيذهبان معنا . حتى عندما لم يحضرا توقعت ان يلحقا بنا على الغداء . وقال تيرانس بلهجة مرحة .

ـ ولكن في غياب غزالين شابين ، حتى تيس عجوز سيكون أفضل من وجود أحد تعبتين معه ، هه . . يا حلوة الوجه ؟ على كل ما ينتهي إلى خير فهو خير . على كل سأكون حذراً في المرة القادمة ، وما من شك انك تعلمت درسك جيداً .

وقال لايل بحدة : «لن تتمكن من المشي براحة لوقت طويل» .

فجأة لم يعد صوته كالحكم المحايد ، ولكن كصوت مستشار تنفيذ بارد الأعصاب :

ـ هذه ليست المرة الأولى التي تزعج واحدة من الفتيات الموظفات عندي يا تيرانس . ومن الأفضل لك ان تكون الأخيرة . رجل في مثل سنك الأفضل له ان يبحث عن نساء من جيله .

وبينما هو يتكلم كان يسير نحو الباب الزجاجي الموصل إلى التيراس ، وفتحه ، وقال باقتضاب : «ابقي هنا يا سارة ، لن أغيب طويلاً ، تيرانس !» .

وبتقطيبة غاضبة باتجاهها أطاع مدير الإعلانات الأمر وانسحب . وبعدما أغلق الباب خلفه ، بدأ بالصراخ ، ولم تصل كلماته مفهومة عبر زجاج الباب ، وعلى الفور تقريباً قمعت برد فعل صاعق وظاهر من الرجل الأطول قامة .

وراقبتهما سارة يتحركان عبر التراس ويختفيان نزولاً إلى الجون حيث لا بد ان تيرانس قد أرسى مركبه . وتعجبت لانه لم يصل أمير الدهيل قبلها . فلا بد أنه أمضى بعض الوقت يفكر قبل ان يقرر ماذا يفعل .

اقراره الخجول بانه يقع عليه بعض اعلامه كان خطة ذكية مقنعة كان يمكن لها ان تنجح لولا ان لايل كان يعرف ما فعله مرة مع فاشتي .

ومع انها كانت سعيدة لان لايل لم يصدق انها ماته لها ، فانها لم تكن سعيدة من الصدع الذي سيحدث لا شك من التوبيخ القادم عليها .

وكانت متعبة ، عاطفياً وجسدياً ، وارتكت على المقعد العالي حيث تجلس ، وتطلعت إلى الرفوف على الحائط والتي ستمتلىء قريباً بالكتب حول الجزيرة . كانت قد سمعته مرة يقول لراي ان بائعي الكتب الأثرية في أوروبا وأميركا يتصلون به باستمرار حول كل المراجع العلمية : التاريخ والخرائط الروي المتعلقة بكومبوستيلا التي تصل إلى أيدهم .

ولم تمض سوى دقائق حتى عاد إلى غرفة ووجهه أقل توتراً ، ولكن مع لمحة من عدم الرضى . وقال لها :

ـ أريد ان يتفحص طبيب قدميك قبل ان أوصلك إلى البيت . سننتظر إلى ان تعود ايمي وتعطيك شيئاً ترتديه .

وجلس في المقعد الآخر واتخذ وضعية مميزة فيه عندما يكون من غير عمل : قدمه اليمنى يتدلى على ركبته اليسار ممسكاً به بيده اليسرى .

وقالت له وعنياها ترفان : «لايل ، أنا آسفة لانني كنت سبباً لشقاق بينك وبين تيرانس» .

ولم يرد ، بل وقف وذهب نحو حقيبة يحتفظ بها بمجموعة تسجيلات ، واختار واحداً منها ووضعها في آلة التسجيل . وعلى مدى دقيقة أدار الشريط بسرعة جعلت الصوت لا معنى له ، ثم أوقفه وضبط السرعة .

واستمعت بذهول إلى تسجيل لمقطع من أول محادثة لها معه .

« أختي انني غير مهتمة بالوظيفة سيد تالبوت ، ولن أضيع وقتك أو وقتي» «كفى عن هذا واجلسي آنسة غراهام لن يكون هناك أي أعمال من النوع الذي

يبدو انه في ذهنك . في مثل وضعك وأنت تقفزين إلى استنتاج خاطىء وتذعرين ، ليس هذا من صالحك ، لانني أحتاج إلى فتاة مراسلة لا تفقد أعصابها ولا شجاعتها ، كما تفعل الفتيات عادة إلى ان يكتسبن بعض الحكمة . فسيكون لدي مشاغل ضاغطة أكثر من ابقاء أنظاري الأبوية عليك ، عندما تبدأ الذئاب المحلية تحوم حولك وسوف يفعلون . هكذا أبيض وأسود» .

وأوقف لايل الشريط وأعاده حيث كان .

ـ أعتقد انك كنت تعلمين المخاطر . وها هي أتت على رأسي .

ـ أظن ان . . ان تسجيل أصوات الناس دون علمهم أمر غير قانوني .

ـ ولكن وسيلة مفيدة عذر مقابلة العديد من المرشحين . إذ يمكن من التركيز على بعض الإنطباعات . كل التسجيلات الأخرى أزلتها بعدما لم يعد لي حاجة بها .

ـ ولماذا احتفظت بهذا التسجيل .

ـ ربما كتذكرة لي بانني وحدي الحلام إذا برز هذا النوع من المشاكل .

وأراح ذراعاه على مؤخره المقعد وتابع كلامه :

ـ ومع ذلك فقد بدأت أتساءل ، عندما دعوتك «بالعذراء السريعة الثائر» عما إذا كان أقرب للحقيقة ان أدعوك «بالعذراء المحترفة» .

ـ وماذا تعني ؟

ـ هناك فتيات يسعدهن ان يختبرن مدى قدرتهن على الوصول إلى ما يردن ، دون جعل الرجل يفقد أعصابه ، . إثارة الأعصاب هي الكلمة المؤدبة لهذا . انها لعبة خطرة ، ومن الممكن لعبها عادة ، كما حدث بعد الظهر اليوم ربما .

ـ هذا ليس صحيحاً . لم أفعل شيئاً ، لا شيء أبداً ، لجعل تيرانس يتصرف كما فعل .

وتفحصتها عيناه ببطء ، مما جعلها فجأة تعي بانها عارية تحت الروب الحريري . وقال :

ـ ما عدا انك كنت تبدين هكذا ، وتديرين فكر أي رجل بشكل آني إلى تلك الناحية . يوم كامل على متن مركب مع فتاة تلبس البيكيني هو امتحان لمقاومة أي رجل ، إلاّ إذا كان سعيداً بزواجه ، وهذا ليس شأن تيرانس .

ـ لو علمت باننا سنكون لوحدنا لما ذهبت معه . لقد بدأت أعتقد ان تيرانس هو الذي لعب لعبته عندما قال ان هناك آخرين سينضمون لنا على الغداء . فلو انهما حقاً وراء خبر كبير ، فلماذا لم يبلغاك بعد عنه ؟

ـ لم أكن قرب أي هاتف اليوم . وربما حاول الإتصال بي .

وساد صمت استمر خلاله بتفحصها بتلك النظرة الثاقبة . وأخيراً ولكسر الصمت المربك قالت :

ـ إذا كنت تعتقد حقاً انني هكذا ، فتاة تحاول السخرية من الرجال ، فأي شيء أقوله لن يقنعك بالعكس . ولكنني ظننتك أكثر انصافاً لتحكم علي بالدلائل الظرفية . فما حدث اليوم ، وواقع ان رودي آتي إلى هنا طائراً ، وأيضاً ارتيابك الخاص بان دودلي أكثر من معلم ملاحة لي ، يزيد من شكك بي ، أو على الأقل لا يقبل والدي بهذا الدفاع .

ـ أنت تتناسين شيئاً . لقد كان هناك لحظات كنا قريبين جداً من بعضنا فإذا لم تكوني توجهيني نحو شيء ما ، فهل من الانصاف الإستنتاج بانك كنت تريدين المضي لآخر الشوط معي ؟

واحترقت وجنتاها بالخجل ، وأخفضت عينيها . ها هي أخيراً لحظة الحقيقة ، حيث يجب ان تلزم نفسها بطريقة أو أخرى . وأجابته بصوت

منخفض :

ـ أجل تستطيع استنتاج هذا . لقد أنهيت ترتيب بيتي . فهل تحب ان تأتي لتتعشى معي في أحد الأمسيات وترى التغييرات التي قمت بها ؟

ـ سأكون سعيداً . ولكن من الأفضل تعليق الأمر إلى بضعة أيام حتى تشفى قدماك . يبدو ان هناك صوت سيارة قادمة . سأذهب وأرى من القادم . وفي طريقه إلى الباب توقف وقال :

ـ لا أرى ضرورة في نشر ما حدث هذا اليوم . من الأفضل تفسير وضع قدماك بانك دست على زجاج مكسور ، ولن يلاحظ أحد الخدوش على جسمك عندما ترتدين ثيابك .

ـ وماذا أقول عن استعارتي لبعض الثياب من ايمي ؟

ـ هل رأيت أحداً تعرفينه هذا اليوم ؟

ـ إذا سنعطي انطباعاً بانك كنت معي . وباننا انشغلنا بتنظيف جروح قدميك واننا نسينا ملابسك على الشاطىء ، وسأحضرها لك لاحقاً . كما سأفعل بالتأكيد ولكن من مركب تيرانس .

ـ ألا يثير هذا الأقاويل ، حول قضاءنا يوم كاملاً على الشاطىء معاً ؟

ـ ربما ، ولكن لا سبيل آخر أمامنا ، وهل تتخيلي ان علاقة ما بيننا لن يلاحظها أحد ، أتظنين هذا ؟

ـ أعتقد لا .

ـ هذا مستحيل يا سارة ، فمثل هذه الأشياء ، إذا لم تكن بعلم الجميع ، دائماً تعرف من المقربين ، وهذا يعني لنا من زملائنا . هل هذا يجعلك تغيرين رأيك ؟ هل ستكرهين ان تكوني على علاقة معي ؟

وهزت رأسها بالنفي ثانية ، وضم لايل فمه تحت شاربه الرفيع ، وترك

الغرفة ، وبعد قليل ظهرت ايمي ، تحمل بعض الملابس على ذراعها .

أنا آسفة لسماع هذا الحادث يا سارة ، هل تؤلمك قدماك كثيراً ؟

ـ لا ليس كثيراً . لقد ربطهما لايل كثيراً بحيث يبدوان فعلاً . شكراً لك أمل ان لا تمانعي في استعارة ملابسك لفترة بسيطة ؟

ـ لا تكوني سخيفة . بالطبع لا أمانع . لقد أحضرت تنورة وبلوزة . وملابس تحتية .

وساعدت سارة على ارتداء ملابسها «تيد ولايل يصنعان الشاي وبعض الندويشات . الشاي منشط عظيم بعد شيء مزعج كهذا . على أي شاطىء كنت عندما حدث لك هذا .

ـ لا أعلم اسمه .

ولحسن الحظ لم تطرح ايمي أسئلة أخرى ، ولكنها مضت في وصف نهارها مع تيد ، وبعد قليل انضم إليهما الرجلان . وبعد نصف ساعة حملها لايل إلى السيارة .

الزيارة للطبيب ، الذي اتصل به لايل مسبقاً ، لم تستغرق وقتاً طويلاً . وهنأه الطبيب على ما قام به وقال له ان يعيدها ثانية إليه إذا ظهرت أية علامة للإلتهاب . وقال لسارة :

ـ تبدين بصحة جيدة أيتها السيد الشابة . أعتقد انك ستقفين على رجليك في مثل هذا الوقت من الأسبوع القادم .

وكانت بهذا الوقت قد اعتادت على ان يحملها لايل بين ذراعيه القويتين ، وقال لها وهو يحملها من العيادة نحو السيارة :

ـ قدماك ستشفيان بسرعة أكثر إذا لم تأتِ إلى العمل غداً ، وأبقيهما بعيدتان عن الأرض قدر المستطاع . سأجلب لك غداً طعام الغداء

وسأخرجك لتناول العشاء . هل ترغبين في تناول الطعام هذه الليلة ؟ أم انك متعبة ؟

ـ متعبة ؟ لا ، وهل أبدو لك مخلوقاً هشاً ؟

وأنزلها بحذر في مقعد السيارة وهو يقول :

ـ لا ، بل بالعكس . معظم الفتيات قد يكن باكيات أو هستيريات حتى ، بعد ما مر عليك في هذا اليوم .

كان الظلام قد حل عندما حملها نحو البيت ، ولكن العديد من سكان الشارع كانوا ما زالوا جالسين على شرفاتهم، بما فيهم جيرانها . وفي الوقت الذي انتهت به من الإجابة على أسئلتهم وعرفتهم على لايل كانت قد بدأت تشعر بالإرهاق . عندما قالت لها زوجة الشاب ان عليها ان تأوي إلى فراشها ، وعرضت عليها ان تحضر لها بعض العشاء ، وكادت سارة ان ترفض .

ولكن لايل قال : «هذه فكرة جيدة يا سيدة روجرز . كنت سآخذها لتأكل في الخارج . ولكن وجبة في المنزل ونوماً مبكراً سيفيدانها أكثر . سأراك وقت الغداء غداً يا سارة .

بعد حوالي ساعتين ، وبعد أن توقف جيرانها اللطفاء عن الاستفسار عنها ، أقفلت باب المنزل وصعدت إلى السرير .

في اليوم التالي أحضر لها حقيبة البحر والثياب التي كانت ترتديها . طعام الغداء الذي أحضره كان لذيذاً ، وأرفقه ببعض المرطبات . وتناولاه على الشرفة التي كانت تتسع لطاولة صغيرة وبضع كراسي . وقال لها وهما يأكلان :

ـ بالمناسبة ، دودلي وجيف أمضيا يومهما بالغطس ، وكان معهما فتاتان ، شقيقة دودلي وصديقه لها والتي كما أظن له اهتمام بها أكثر من

الصداقة . يبدو انني كنت مخطئاً بظني ان عينه عليك . وهذا للأسف يشير إلى ان تصرف تيرانس كان متعمداً . كان يقصد ما فعله منذ البداية .

ـ ربما أعتقد بانني لن أصده ، وان لا حاجة لي لان أكون غير مسرورة . . . . أظن انه رجل مغرور يتخيل انه ساحر لا يقاوم ، لذلك تجاوز حده مع فاشتي .

ـ وهل تعلمين بهذا الأمر ؟

ـ كنت بالقرب من مكتبه عندما سمعت الصفعة على وجهه ، ثم خرجت من عنده وهي غاضبة ، ولكن هذا حدث منذ زمن ، ولقد نسيته .

ـ يجب ان أجد أحداً يحل مكانه .

ـ أليس هذا عمل قاس ؟ فبعد ما قلته له بالأمس لن يتجرأ على مضايقة غلوريا .

ـ لنفترض بانك كنت غير قادرة على القفز عن المركب والسباحة يوم أمس ؟ ماذا كان سيحدث ؟

ـ لا . . . لا أعلم ماذا كان سيحدث . ولكنني مستعدة لان أعطيه البراءة .

ـ اما أنا فلا . فأنا شخصياً أجد صعوبة في منع يدي عنه ، وعملياً لدي أسباب تدفعني لان أفضل ان أستبدله ، وأعتقد ان لديه أفكاراً ليس لها مكان في مجتمع متحضر ، على الرغم من انه يحاول اخفاءها ، وخاصة في مجتمع أساسه من السود . منذ بضعة أيام سمعته يتحدث إلى غاري بطريقة لم تعجبني . حتى ولو ان لون غاري ليس له علاقة بالموضوع إلاّ ان الطريقة لا تزال غير مقبولة ان أسمعها من أي موظف عندي يخاطب موظفاً في مركز صغير .

ـ وهل تستطيع ايجاد شخص محله ؟

ـ ليس هناك شخص لا يمكن الاستغناء عنه ، حتى محررتي الفتاة . . .

وأضاف وقد أصبحت لهجته أكثر حرارة ومداعبة .

ـ هل ندخل إلى الداخل الآن ؟ أظن ان احداهن تراقبنا من المنزل المقابل ، وعلى الرغم من انها قد تستمتع ، لكنني أظن ان علينا ان نحرمها من متعة التفرج علينا ، بينما أنا . . . .

واحمرت وجنتا سارة وشعرت بقلبها يقفز ، وزم شفتيه وتابع :

ـ بينما أنا أتفحص قدميك .

وانطلقت منها ضحكة «أوه . . . كم هذا غير رومانسي ! . . لقد ظننت . . .

وتوقفت عن الكلام وقد شعرت فجأة بالخجل .

ـ وسأقوم بما افتكرت به أيضاً . ولكن الواجب قبل الخدمة . سأنظف الطاولة . وأنت أعرجي إلى ان تصلي إلى الصوفا .

وفعلت ما طلبه منها . ولكنه بعد تنظيف الطاولة والدخول إلى البيت لم يغلق الباب وراءه كما توقعت . لا يمكن لأحد يمر ان يراهما ولكن قد يصل أحدهم إلى عندها .

لكي يفحص قدمها ، جلس على كرسي صغير وظهر إليها ، كما البيطار عندما يفحص نعل الحصان هكذا فكرت ، منظر رأسه الأسود وهو منحن فوق قدمها ، وعرض كتفيه وهو يشد على قماش قميصه ، جعلاها تشعر بالضعف والشوق له .

ـ ان الجروح تشفى بسرعة . وكما قال الطبيب ، أنت صغيرة وصحتك جيدة .

وأكمل تغيير الضماد والتفت إليها وقال : «وجميلة جداً» .

وجذبها نحوه واحتضنها . ولكن لايل على الرغم من عناقه الحار لها ، كان له سيطرة أكبر على نفسه أكثر من تيرانس ورودي .

وأخيراً أبعدها عنه وقال بخشونة : «لِمَ أنت غير صبورة هكذا ؟» .

وأمسكها بين يديه وهزها «هذا ليس المكان ولا الزمان الملائمين» .

وسقط رأسها وتمتمت «ولكن أين ومتى ؟» .

ـ ولكن ما نفعله أمر غير محترم يا صغيرتي ، سأفكر بالأمر . سأعود عند السابعة وربما دبرت عندها أمر عطلة لنا معاً في مكان ما .

وأمضت طوال بعد الظهر وهي تفكر ، علاقتهما مقدر لها ان لا تكون مستمرة إلاّ حسب الظروف . وهذا ليس ما كان يعتمر في ذهنها .

وتمنت لو انها تذهب إلى البلدة لتشتري فستاناً جديداً ، فهي لا تريده ان يتذكر المناسبة السابقة التي ارتدت فيها فستانها مع رودي . ثم تذكرت هدية راين لها ، السروال والقميص الزهريان المذهلان . وعندما وصل لياخذها قالت : «لا حاجة لان تحملني الليلة ، فقدمي لا تؤلمني إذا مشيت ببطء» وقدم لها ذراعه قائلاً : «كما ترغبين ، لقد دبرت كل شيء . سنمضي معاً عطلة لأسبوع كامل .

ـ الأسبوع ؟ ولكن ماذا سيظن بنا الآخرون ؟

ـ سيظنون انك ستلازمين والداك في رحلتهما إلى الانتيك ، وانني سالازم شقيقتي وزوجها . ويستطيع راي ان يكتب المقالين الرئيسيين ، ويراقب الصحيفة في غيابي . وتستطيعين كتابة صفحة المراة مقدماً .

ـ وأين سنذهب حقيقة ؟

ـ إلى الأنتيك . لقد حجزت منزلاً يؤجر عادة لشهر العسل . . .

ـ يبدو هذا جميلاً . كم سنمضي وقتاً مرحاً .

يقع مطعم البيغاء الأخص في واحد من منازل سانت جايمس القديمة الملفوفة بالخشب ذات الشرفات المسقوفة . وكانت طاولتهما قرب مروحة متدلية من السقف تدور ببطء لتبعث هواءً ناعماً بارداً باتجاههما دون ان تضطرب شعلة الشمعة المحمية باطار زجاجي الموضوعة على الطاولة بينهما .

كانا أول الوافدين ، وأقبل صاحب المطعم ليتبدل معهما الحديث حول لائحة الطعام ، المؤلفة من الخوخ ، وطبق مارتنيك المفضل الأرانب المغموسة بالخل الأحمر والصعتر ليوم وليلة قبل طهيه مع البصل والكرفس ، والخوخ المنقوع بالخل .

ـ جدتي الكبرى أصلها من المارتنيك .

وروت سارة قصة ماري ـ مارتين التي أنكرها أبواها التريان لزواجها من شاب لم يقبلا به . وأضافت :

ـ لقد ورثت عيناي منها .

ـ كذلك طبيعتك الرومانسية ، ولا عجب في ذلك ولحسن الحظ الآباء في هذه الأيام لا يتنكرون بناتهم .

ـ لا ، ومع ذلك قد يتألمون من تصرفات أولادهم . لن أخبرهما عن حبنا .

وهما يحبانك ولكن قد لا تعجبهما فكرة علاقتنا .

ـ ومع ذلك فأنت مصممة على حبي . . لماذا ؟

وقالت لنفسها : لأنني أحبك فعلاً . ولان كل وجودي هو الأيام التي أقضيها معك . . . ثم قالت له :

ـ ولماذا لم تدعوني للإقامة في أمير الدهيل ؟ لانك تنبأت باننا قد نصبح

أقرب لبعضنا أكثر من زميلين ؟

ـ أجل . .

ـ لذا أكدت علي ان لا مهام غير عادية من النوع الذي كنت أفكر فيه .

ـ كنت أشير إلى وضع حيث يتمكن رجل في مركز عالٍ من فرض ضغط على فتاة لان تكون لطيفة معه . . وإلاّ . اما في علاقتنا فيجب ان نحاول فصل حياتنا العملية عن حياتنا الخاصة ، كما يفعل المتزوجون الذين يعملون معاً .

من المؤكد انه حزر بانها تتوق إلى الزواج . فقالت :

ـ دعنا لا نتكلم عن هذا . . فقد يسمعنا أحد هنا .

ـ في هذه الحالة سآخذك بالسيارة ، لنفتش عن مكان نستطيع ان نناقش هذه المسائل بحرية أكبر .

وأخذها إلى مكان يدعي «اندبان بونيت» وهو مكان من الأملاك العامة لا يوجد فيه شيء سوى مرج أخضر ثرثارة الماعز . جمال المكان يكمن في صوت تكسر الأمواج المتواصل على الصخور ، وكل موجة تسبب ستاراً عالياً من رذاذ المياه .

وقال ليل وهو يطفيء المحرك والأضواء .

ـ هذا جيد ، نحن هنا لوحدنا . هل قدمت إلى هنا من قبل ؟

ـ مرة واحدة ، في النهار ، لوحدي . قبل ان انشغل ببيتي ، كنت أتجول على الشاطيء ، لأشاهد كل الأماكن المثيرة للإهتمام . وهذا كان موقعاً لقرية كاريبية على ما أعتقد .

ـ أجل ، ولكنني لم آت بك إلى هنا لنناقش الإكتشافات الأثرية .

وتحرك على المقعد ليسحبها إليه وقال بهدوء :

ـ لم تجيبين بعد على سؤالي .

ـ أي سؤال ؟

لهجة صوته ، والسهولة التي أخذها بها بين ذراعيه ، والإحساس بقوته ، كلها تآمرت عليها لتجعل صوتها يرتجف . وقال لها :

ـ هل تحبين ان تنظري إلى السماء وأنا أعانقك ؟

ودون انتظار جوابها جذبها إليه أكثر وغابا في عناق عنيف . ولم تكن تلك السباحة الماهرة التي تستطيع ان تنجو من هذه الأمواج العاتية ، ولم يكن لديها كذلك القوة لتقاوم تلك الأحاسيس التي ثارت في داخلها .

ـ لا . . . لا . . . أرجوك يا لايل . . ليس هنا . . . قد يمر أحد ويرانا .

ـ معك حق . . ليس هنا ، ولكن يمكن تدبيره لو ان فيك مسحة عنجرية .

ـ أنت تجعلني أحسن وكانني . . . وثنية لا أعرف ما أنا .

ـ في هذا الوقت من الأسبوع القادم سنكون معاً . هل تحسين بقلة الصبر مثلي يا سارة ؟

ـ أجل . . أجل .

ما هذا الذي تقوله ؟ وكيف تستطيع ان تعترف بكل حرية لرجل لم يقل لها أبداً انه يحبها ؟

ولكنها هي أيضاً لمن تقل له أبداً انها تحبه ، مع انها تحبه فعلاً . يا إلهي كم تحبه . وقال لها بصوت أجش .

ـ لقد حان الوقت لأوصلك إلى البيت .

طوال الطريق نحو المنزل ، وفيما كان يحملها إليه ، كانت متأكدة انه سيبقى هذه الليلة معها . ولكنه أنزلها على رجليها وقبل جبينها ومشى مبتعداً

وبخشونة . وراقبته وهو يبتعد . وتمنت لو ان سبب تركه لها لا يتعدى خوفه من القيل والقال حولهما .

الأيام الباقية التي تفصلهما عن موعد السفر ، سببت العديد من اللحظات غير المريحة فقد شعرت بانها متأكدة ان الآخرين ينظرون لها بارتياب للمصادفة التي جمعت رحيلها برحيل لايل . وسألتها فاشتي :

ـ لم ستبقين مع والداك ؟

وأجابت سارة مع بعض الحرج : «لست متأكدة» .

لماذا يمضي رجل له ارتباط طفولي بكومبوستيلا ، وله ابنة تعمل هناك ، عطلته في الانتيك ؟ . شعرت بان هذا السؤال لا بد انه راود مخيله فاشتي والمحررين الآخرين .

اما لايل فقد كانت تغطيته معقولة أكثر ، فقد قال لبول ، رئيس المحررين ، ان صهره بدا في رسالته انه ضجر من الحياة في العاصمة الأميركية ، ويتمنى ان يعيش في مكان مريح مثل سانت جايمس . وقال :

ـ قد يكون الوقت ملائم لأقترح عليه بعض التغيير .

عندما حل يوم رحيلهما ، كانت سعيدة بالحريل . فقد ملت قول نصف الحقيقة والأجوبة الغامضة . وبعد هبوطهما على الجزيرة الأكبر ، استقلا تاكسي من المطار إلى المنزل الذي استأجره لايل . وبما انه كان بعيداً عن المحلات التجارية ، فقد استأجر سيارة كانت ستصلهما في اليوم التالي .

سائق التاكسي كان رجلاً في أواسط العمر لا يزال يستخدم الطريقة القديمة في مخاطبة السيدات «انتبهي لرأسك يا سيدتي» قال لها وهو يفتح الباب الخلفي لها .

كان المنزل أكبر مما توقعته ، وكان مبنياً فوق هضبة صغيرة ليلتقط كل نسمة هواء ممكنة ، ويطل على خليج ، يقف فيه عدة مراكب . وأقرب

شاطىء يبعد خمس دقائق سيراً من الحديقة . وللمنزل شرفات من كل جوانبه ، وغرفة جلوس واسعة ، وثلاثة غرف نوم بسرائر مزدوجة .

وسألها لايل بعد ان تفحص الغرف :

ـ أية واحدة تفضلين ؟

الغرفتان الصغيرتان كانتا أقل فخامة من الغرفة الرئيسية . والثلاثة لكل واحدة حمام متصل بها ، وأسرة بحجم كبير . وقالت سارة :

ـ أظن انني سأختار الغرفة الخضراء والبيضاء .

وكانت تشير إلى الغرفة ، حيث الجدران ، والستائر ، وشرائف الفراش كلها بيضاء موشاة بلون التفاح الأخضر . وتابعت قائلة :

ـ ولكنني في الحقيقة لا أهتم ، أية واحدة تفضل ؟

ـ أية غرفة نوم أنت فيها تناسبني . وطالما هناك أكثر من حمام واحد ، اذهبي أنت إلى أحدها ، وسأذهب أنا إلى الحمام بين غرفتي النوم الصغيرتين . سأحضر أدوات الحلاقة وأغراض الإستحمام وأرتدي ثياب السباحة ثم نذهب إلى الشاطىء .

وارتدت البيكين ووضعت حقيبتها في الخزانة قبل ان يظهر لايل وقد ارتدى ثوب السباحة .

ـ سأفرغ بقية الثياب فيما بعد ، لنذهب الآن لم يكن هناك أكثر من ستة أشخاص على الشاطىء عندما وصلا ، وعندما خرجا من الماء لم يكن هناك أحد . فقد بلغت الساعة الثانية ولا بد أن الجميع ذهبوا لتناول الغداء . وسألها وهما يسيران نحو المكان الذي وضعا فيه المناشف «هل أنت جائعة ؟» وأجابته : «لا ، ليس كثيراً ، وأنت ؟» .

ـ لا . . لقد تفحصت البراد ووجدته ملىء بالأشياء التي طلبتها لذا فلن نحتاج إلى طعام من الخارج .

واستلقت سارة لتجفف نفسها . حتى في الظل ، ستتبخر نقاط الماء عن جسمها في وقت قريب . فطقس جزر ليووارد الشتوي ليس رطباً ولزجاً . وقد تكون الشمس خطرة وخاصة في مثل هذا الوقت من النهار . والأفق دائماً يبقى صافياً ونسمات الريح تسبب تمايل الأشجار .

وكانت منشفتاهما متقاربتين . واستلقى لايل على بطنه ورفع جسمه على كوعيه لينظر إلى وجهها .

ـ أسعيدة أنت يا سارة ؟ ألا تشعرين بالتردد في آخر لحظة ؟

ـ أنا سعيدة جداً .

ـ عندما تنظرين إلى هكذا بكل ثقة ، تجعليني أفقد أعصابي . ماذا تنتظرين مني ؟

ـ السعادة ! وماذا أكثر ؟

ـ قد تتوقعي ان تتحرك الأرض .

ـ ماذا تعني ؟

ـ ألم تقرأي كتاب همنغواي «لمن تدق الأجراس»؟

ـ لا .

ـ حسناً . لقد كنت أعرف مراسلة قالت لي ان جيلها ، أي من هن في الأربعينات ، أصبن بخيبة الأمل عندما قرأن الكتاب .

ـ ولماذا ؟

ـ انه يروي قصة مجموعة فدائيين خلال الحرب الأهلية الاسبانية . وكان بينهم أميركي وفتاة اسبانية . وعندما غازلها شعرت بان الأرض تتحرك ، تماماً كما قيل لها بانها ستشعر إذا كان الرجل المناسب لها .

ـ ولكن الأرض لا تتحرك فعلاً ؟

ـ أعتقد ، لا . .

بعد قليل سمعا أصوات أطفال يتقدمون منهما . فوقف لايل وارتدى الشورت وقال : «هناك بعض المرطبات في الثلاجة بانتظارنا» .

وعادا إلى المنزل ، ويداهما متشابكتان . وفتح الباب وتركها تدخل .

ـ هل ترغبين في حمام سريع قبل . . . الغداء ؟

ـ أجل . . لن أغيب طويلاً .

في ذلك الوقت من النهار ، حتى الماء الباردة تبدو دافئة . ثم تبرد تدريجياً . كانت تجفف شعرها بالمنشفة ، عندما جعلها صوت من الخارج تتوقف ، وظنت انها سمعت صوت سيارة .

لا بد انها تتخيل ؟ فلو ان هذا المنزل يؤجر عادة للمتزوجين الجدد فلن يكون وكلاءه سخفاء لدرجة ان يحاولوا زيارة المستأجرين بعد وصولهم مباشرة .

ولكنها كانت سيارة ، وفيها أكثر من شخص واحد ، ولم تخطىء أبداً لسماعها صوت شخصين على الأقل .

هل يمكن ان يكون المنزل قد حجز خطأ مرتين في وقت واحد ، والناس الواصلون الآن هم زوجان في شهر العسل ؟

وكانت موزعة بين السخط والسرور لهذا الموقف الشاذ ، ولفت نفسها بمناشف الحمام واقتربت عبر السجادة الخضراء إلى الباب لتستمع . .

الفصل العاشر

لا بد ان لايل ترك الباب دون اقفال ، لانها لم تسمع الوافدين الجدد يضعون المفتاح في القفل ، أول صوت استطاعت تمييزه كان صوت انديزي يقول : «شكراً جزيلاً يا سيدي ، الوداع يا سيدتي تمتعا بعطلتكما» .

من الواضح انه سائق التاكسي أو ربما نفس السائق الذي أوصلهما إلى هنا منذ برهة .

ثم ، وبذهول كبير ، سمعت صوتاً مألوفاً يقول : «يبدو انه لا يوجد أحد هنا . ربما لم يكونوا يتوقعون وصولنا بعد ، وهم على الشاطىء الآن .

وشهقت سارة ودفعت الباب على مصراعيه .

ـ أبي . . . أمي . . . أوه . . كم هذا رائع .

وفتحت أمها ذراعاها ، ومت سارة بنفسها بينهما ، ولقد نسيت لحظتها كل شيء سوى الفرح للعودة مع أبويها .

ومضت بضع دقائق قبل ان تتمكن المرأتان من معاودة الكلام . ووالدها على الرغم من سيطرته على مشاعره ، كان متأثراً بوضوح لرؤية ابنته .

وفي الوقت الذي بدأوا فيه السيطرة على أنفسهم ، ظهر لايل ، وهو يلبس شورتاً أبيض .

ـ يبدو ان رحلتكما وصلت في الوقت تماماً ، أنا سعيد برؤيتكم كيف

حالك سيدي ؟ أهلاً بك في الكاريبي سيدة غراهام . أرجو ان تكون هذه الأولى من ضمن زيارات عديدة .

وقالت السيدة غراهام .

ـ أتمنى ذلك أيضاً . ولكن لن تكون أية زيارة مثيرة كهذه . لم أنم أبداً منذ اتصلت بنا . لا بد انك تدبرت أمر الزفاف ، كما أتوقع ؟ متى سيتم ؟

ـ بعد غد ، شقيقتي وزوجها لا يتسطيعان الحضور قبل الغد ، وبما انهما أقربائي الوحيدين ، من الطبيعي انني أحب ان يكونا موجودين .

والتفت إلى سارة ، وغمزها دون ان يلاحظاه ، ووضع ذراعه حول كتفيها :

ـ كيف تبدو لكما العروس ؟

وعلق والدها وهو يبتسم قائلاً :

ـ مثل ما تبدو معظم العرائس قبل أربع وعشرين ساعة من اليوم الكبير ، لا تعرف أين تقف ، على رأسها أم على قدميها .

وقالت أمها : «ولكنها لا زالت سارة الحلوة الجميلة ، لم تتغير أبداً ، وأنا مسرورة بذلك» .

وقال لايل : «لا ، لم تتغير ، على الأقل ليس قبل الاثنين ، حيث لن تكون بعدها الآنسة غراهام بل ستصبح السيدة تالبوت» .

ضحكته الساخرة كانت تتحداها لتعلن انها الحرة الأولى الذي تسمع فيه بهذا الأمر . وتابع كلامه :

ـ أنا متأكد انكم تشعرون بالحر كما شعرنا به عند وصولنا ، لماذا لا تفرغون ملابسكم من الحقائب وترتدون ثياب السباحة ، وتذهبان رأساً إلى الشاطىء بينما أحضر أنا وسارة بعض السندويشات . فلم نتناول الغداء بعد ،

سنحضر الطعام إلى الشاطىء في حقيبة مبردة مع بعض المرطبات .

ـ انها خطة جيدة يا لايل ، تعالي ماري .

وبينما حمل لايل حقيبتيهما وسار أمامهما إلى غرفة النوم الرئيسية عانقت السيدة غراهام ابنتها ثانية وهي تقول :

ـ لا أصدق اننا هنا يا عزيزتي . وأنا متشوقة وسمع كل التفاصيل ولأرى ثوب الزفاف . عندما تحدثنا على الهاتف سألت لايل إذا كان يجب ان أجلب معي ثوباً ، فقال انه تدبر الأمر .

بعد بضع دقائق ، وبعد ان غير والداها ثياب السفر ، دخلت سارة ولايل إلى المطبخ الكبير المجهز بالكامل .

ـ شوق أمي لرؤية ثوب الزفاف ، لا يقارن بشوقي .

ـ راين ستجلبه معها غداً ، لقد بدوت مأخوذة جداً حيث انني شعرت بان من الأسلم ان أطلب منها اختيار ما يناسب زفافاً صغيراً وخاصاً جداً . فالمحلات في واشنطن أفضل من المحلات في سانت جايمس . هل أنت غاضبة مني ؟

ـ غاضبة . . لا . . ولكنني فقط محتارة ، فما الذي جعلك تقرر فجأة ان تجعل مني سيدة محترمة ؟

ـ لم يكن هذا قرار فجائي . لقد كان يجول في فكري منذ التقيت بك . حتى قبل ان التقي بك ، فقد قالت زوجة بوب ، ماغي بانك الفتاة المناسبة لي . وصرفت النظر عن الأمر لانه بدا وكانه تدبير لزواج سخيف وتخلصت من محاولتها الجمع بيننا . ثم تقدمت بطلب الوظيفة ، وبنهاية المقابلة أصبح لدي شعور ان ماغي على حق .

كانا يقفان على بعد ياردات من بعضهما ولم يحاول أبداً الإقتراب منها .

ـ عندما يقع الرجل في الحب من أول نظرة ، وإذا كان له تفكير سليم ، يتوقف عن الزام نفسه حتى يكون أمامه الفرصة الكافية ليكتشف ، ماذا كانت الفتاة كاملة حقاً كما تبدو له .

وأخرج والدها رأسه من الباب وقال :

ـ هه ، ها أنتما . هل لي بكلمة معك على انفراد يا لايل ؟

وبدا على لايل التردد «لن أغيب كثيراً يا سارة» . . «تفضل» .

كيف لها ان تنزعج منه بجعلها تعتقد انهما هنا لأمر غير مشروع ، بينما الحقيقة انه كان يخطط لتحقيق أعز أحلامها ؟

وعاد بعد بضع دقائق واحدى يداه في جيبه . وقال لها :

ـ لقد أشرت لي مرة بملاحظة أعطتني فكرة عن الحجر الكريم الذي قد تختارينه لخاتم الخطوبة . وطلبت من والدك ان يحضره معه من لندن ، وإذا لم يعجبك ، ما عليك سوى القول وسأغيره فوراً .

وأخرج من جيبه علبة صغيرة ، وفتحها ، وأراها ما تحتويه . وتنفست الصعداء ، واتسعت عيناها بالدهشة والفرح « انه رائع » .

وأدخل الخاتم عبر مفاصل أصبعها ، إلى جانب الخاتم الفضي الذي تلبسه في أصبعها الصغير .

ـ ماذا قلت لك لتخمن بانني أتوق دائماً للفيروز ؟

ـ كنت تتحدثين عن الألوان لراين فقلت ان هذا اللون هو المفضل لديك ، لون الحياة المظللة حول الجزيرة . أنا أعرف انك تحبين الزهر والأحمر ، وكان ممكناً ان اختار ياقوتة أو الماساً بلون الزهر . ولكنني أحب الفيروز أيضاً .

وأدارت الخاتم إلى هذه الناحية وتلك . انه لون جميل ، لا أزرق ولا

أخضر بل شيء ما بين الاثنين ، مثل لون البحر .

- لقد كنت واثقاً تماماً بانني أحبك يا لايل .

- مؤخراً ، أجل ، كما كنت واثقاً من حبي لك . ليس من أجل الحب وحده تعطي النساء أنفسهن للرجال ، ولكن معك أنت لم يكن هناك سبب آخر .

ورفع يدها إلى شفتيه وقبل أصابعها قبل ان يقول :

- ربما لم أكن عادلاً لانني خدعتك عن طبيعة مجيئنا إلى هنا ، ولكنك تكونين منهمكة جداً في محاولة لعب دور المتأنقة ، ودور المفتونة .

- أظن ان هذا كان عملاً وحشياً منك . كان من مصلحتك لو جبنت في آخر لحظة . سيغير والداي رأيهما بطيبتك لو عرفا السبب الظاهري لرحلتنا هذه . وأنا واثقة ان والدي سيعتبر اغواء موظفة شابة بنفس السوء الذي للإختلاس .

- ولكنني لم أغويك يا فتاتي الحلوة . فأنت لا تزالين بريئة بالقدر الذي يتمنى الآباء ان تكون فيه بناتهم ليلة الزفاف . . .

عندما انضما إلى والديها على الشاطىء صاحت والدتها من التعجب : «كم هي مثالية هذه البقعة عزيزتي سارة ، لقد نسيت ان أسألك عن حال قدميك ، لقد قال لايل انه قد حصلت لك حادثة تمنعك من الوصول إلى الهاتف عندما اتصل بنا . وقال انه ليس أمراً خطيراً ، ولكن ماذا حدث بالضبط ؟

- لقد . . دست على بعض الزجاج على الشاطىء ، وهما بحال أفضل الآن .

وأرتها سارة آثار الجروح في قدميها . وعندما كانوا يشربون المرطبات قال والدها : «ماذا تحبان كهدية للزواج ؟ طالما لن تحتفلا بزواج من النوع

الذي يسبب الكوابيس للآباء ، نود ان نهديكم شيئاً ذا قيمة !» .

وقالت سارة : «اتركا لنا فرصة للتفكير ؟» .

وبرز في ذهنها ان هدية قد تبعث السرور في نفسيهما معاً قد تكون مركباً شراعياً . ووالدها ليس غنياً لدرجة ان يستطيع اهداءهما مركباً مثل الذي ضحى به لايل لأجل الصحيفة ، ولكنها كانت واثقة ان زوجها المستقبلي لن يستخف بمركب متوسط الحال يستطيع ان يمارس عليه مهارته بالابحار وسألتها أمها : «أين ستذهبان لقضاء شهر العسل ؟» .

وأجابتها سارة وهي تنظر إليه باعجاب : «لا أعلم . لايل يبقى الأمر سراً . فهو رجل كتوم جداً» وتدخل لايل شارحاً .

- لقد توصلت إلى التفاصيل . بما ان سارة كانت تتعلم الابحار ، وبما ان هناك العديد من الشواطىء الجميلة ، سأستأجر مركباً دون بحارة . وسنغيب عنكما أسبوعاً . ثم نعود لنأخذكما إلى كومبوستيلا لقضاء ما تبقى من عطلتكما في أمير الدهيل .

ذلك المساء بينما كان الجميع في المطبخ يشدن في تحضير وجبة العشاء ، دق جرس الهاتف ، وكان المتكلم شقيقة لايل ، تتصل من واشنطن ، وتبادل معها لايل الحديث أولاً ثم أعطاها السماعة ، وجاءها صوت راين حاراً ، من أميركا وهي تقول :

- حبيبتي سارة ، لم أشعر بحياتي بمثل هذه السعادة . ولكن من سوء الحظ ان لايل لم يترك لك وقتاً لتحضري فيه إلى هنا لتختاري جهازك . على كل ، لقد وجدت لك ثوب عرس سبتدين فيه مذهلة ، انه من السوفين الأبيض ، مبطن بالحرير الأبيض ، وسأجلب لك قبعة مزينة باللؤلؤ لتضيعها على رأسك وأتمنى ان يكون مقاس رجلك مقاس خمسة لانني اشتريت لك حذاءً خاصاً أزرق اللون ، يا طفلتي .

وكانت ستستمر في الحديث إلى مالا نهاية ، إلّا ان صوتاً رجالياً مرحاً قاطعها : «سارة ؟ مرحباً . أنا بول ، قريباً سأصبح صهرك . لو لم أوقف زوجتي الثرثارة عن الحديث لاستمرت حتى منتصف الليل . يمكنكما الحديث غداً قدر ما تريدان . سنصل قرابة الظهر ، وداعاً الآن .

وذكرت المكالمة لايل ان لديه بضع صور التقطت خلال آخر زيارة لراين . وأحضر الصور ليريها لآل غراهام . وكانت سارة قد نسيتها : الصورة التي أخذتها لشقيق وشقيقته ، والصورة لها ولراين والصورة التي أخذتها راين لها وهي تجلس على ركبته . وقالت السيدة غراهام عندما رأت الصورة الأخيرة .

ـ هذه أعجوبة ، لم أشاهد مثلها ، ألا تظن ذلك يا جون ؟

فابتسم وقال : «أظن انك على حق» ومدت سارة يدها وقال : «هل لي ان أراها ؟» .

وتذكرت كيف أعطتها راين تعليمات لتضع ذراعها على كتفي لايل . وظنت ان تعبيرات وجهها هي التي أثارت الإهتمام . ولكن ، في الواقع كانت تنظر إلى السماء ، وجهها تحفظ دون ريب ، ولكن لايل هو الذي التقطته الكاميرا وهو يظهر أكثر مشاعره الداخلية .

كان ينظر إليها بمزيج من الحنان والرغبة . لو انها كانت تعرف تماماً ما كان يشعر به نحوها في ذلك الوقت ، لكان توفر عليها الكثير منن ألم القلب .

بعد طعام العشاء ذهب والداها إلى غرفة النوم ، وقد غلب عليهما التعب من رحلتهما الطويلة . واقترح عليها لايل :

ـ هل نذهب في نزهة ؟

كان القمر مكتملاً . وكانت ليلة مكتملة . وخلعا خفيهما ، ومشيا بدأ بيد يضربان مياه الشاطىء . أحياناً كانت ترتاح موجة فوق رمال الشاطىء

المغسولة بموجات من قبلها ، وأحياناً تحتلى آثار أقدامهما العميقة بالرغوة . ولم يكن غيرهما على الشاطىء في ذلك الوقت ، لقد كان الشاطىء لهما وحدهما ، وكانهما شخصان نبذتهما سفينة على جزيرة نائية كجزيرة روبنسون كروزو .

وقالت له سارة وفي صوتها قليل من الريبة : «أعلم انه كان لديك نساء كثيرات في حياتك ، ولكن ذلك كله كان في الماضي ولا يهمني . ولكنني أرغب في سماع وجهة نظرك حكول قصتك مع روز ماري .

ـ روز ماري ؟

ـ زوجة جاك . من كانت في مركزي عندما كنت تعمل في صحيفة «النيوز» .

ـ أوه . . أجل . . روز ماري . من أخبرك بهذه القصة التاريخية القديمة ؟

ـ روز مأري بنفسها . كنت في منزلها في أحد الأمسيات وظهرت على الشاشة واطفأت التلفزيون ، ثم خرج منها كل شيء . . . علاقتك الغرامية بها ، وكيف تخليت عنها . . أو هكذا قالت .

ـ وهل صدقتيها ؟

ـ في ذلك الوقت ، أجل . ولكنني لم أعد أصدقها ، بعدما عرفتك ، لا أستطيع التصديق بانك تتخلى عن أي شخص دون توديعه على الأقل أو ان تشرح له سبب تركك له .

ـ لا ، لم أفعل هذا . ولكنني لا أستطيع تبرئة نفسي من المسؤولية . أتمنى ان لا تكون روز ماري غبية لدرجة كشف علاقتنا أمام زوجها . هو يعلم بالتأكيد انها كانت على علاقة مع عدة رجال قبل زواجها منه ، ولكنني لن أرتاح بينهما إذا علم بعلاقتي معها .

وتوقف وأدار سارة لتواجهه ورفع رأسها لضوء القمر ، وتابع :

كان هذا منذ زمن بعيد ، منذ عشر سنوات ، ولم تكن علاقة حب . كان نوعاً من الحنان بيننا . ربما تكون قد هدأت الآن بعد تسع سنوات من الزواج وطفلين . ولكن في تلك الأيام كانت روز ماري تستغل حرية المرأة إلى أقصى مدى . وإذا أعجبها رجل تقول له ذلك بصراحة وتدعوه إلى منزلها . كانت تتصرف كما تفعل المراهقات في عمرها تماماً .

وعاد إلى السير مرة أخرى وتابع :

ـ عندما نتزوج أتمنى ان يكون لنا أطفال وان نوفق بين سعادة متوسطة بين حبنا وحبنا لهم .

ـ وهل ستقلد شقيقتك في انجاب عائلة كبيرة ؟

ـ هذا شيء سنقرره فيما بيننا . لبضعة سنوات قادمة أحب ان تكوني في لي لوحدي . نحن فقط ، إلى ان تصبحي في منتصف العشرينات . وعندها يتوقف الأمر على ما ترغبين به .

ـ أحب ما تحبه أنت ، ان أكون زوجة لبضع سنوات قبل ان أصبح أماً .

كانت راغبة في نسيان موضوع المرأة الأخرى ، فقد أحست فجأة انها غير مهتمة بالموضوع . ولكن بعد توقف قصير عن الكلام تابع :

ـ أعتقد ان علاقتنا أعطت روز ماري نوعاً من الفخر لترى الناس ينظرون إلينا عندما كنا نظهر معاً في العلن . في الواقع كانت تشعر بالمساواة بين الجنسين حتى انها طلبت مني الزواج . وأظن ان هذا ما جعلها غير قادرة على النسيان .

ـ انه أمر يسبب الألم عند رفضي طلب ما ، والأكثر ايلاماً ، عندما تعكس الفتاة التقاليد . لقد شعرت بالاحراج عندما اعترفت لك بسبب شرائي لكوخ

كورديا . ولكنك على الأقل كنت قد أوضحت لي انك تحبني . ولا بد انها أحبتك يا لايل حتى ولو لم تشعر بنفس الشيء تجاهها .

ـ لم يكن مقدراً لعلاقتي معها ان تنجح . وأنا لست ضد الزواج المختلط . على المرء ان ينظر إلى فاشتي كمثال ، فلديها دم أفريقي ، هندي أوروبي وصيني في امتزاج أجناس . ولكن في عالم غير متكامل الزواج بين أناس من ألوان مختلفة يتطلب شخصية لها قوة غير عادية . أو نوعاً من الألفة لم تكن بيني وبين روز ماري أبداً ، ولكن أظن اننا نمتلكها أنت وأنا .

وتوقف مرة أخرى وأدارها نحوه .

ـ لو كنا من أعراق مختلفة ، لما استطعت مقاومتك . ليس وجهك وحده الذي يسبب لي السعادة ، بل ابتسامتك ، والأشياء التي جعلك تبتسمي . حتى تصرفك أثناء عملك ، والطريقة التي تتناسبي بها مع زملاءك . أنت شخص عذب يا سارة . محبوبة . وتسعدين أي رجل .

اطراءه معها جعلها تشعر برغبة في الهمهمة . فبعد أسابيع من عدم الوثوق . من الشعور بانه لن يهتم بها حقاً ، سيلزمها وقت طويل قبل ان تؤمن ان حبه حقيقي . وغمرها لايل بين ذراعيه ، وأصبح ذقنها على صدره . وأحنى رأسه فوق رأسها ، وقال بنعومة :

ـ للجمال مفهوم متقلب . وكل الأمور الأخرى ، الأكثر أهمية التي يتطلع إليها الرجل في المرأة ، مثل الرقة والإخلاص ، والتشجيع ، أشياء معروفة . كنت سأحبك مهما واجهتنا من مصاعب .

ـ حتى ولو كنت ملك بابل ، وأنا عبدة مسيحية بين يديك .

وغطت أرجلهما موجة خفيفة حيث يقفان متعانقان في ضوء القمر . وكان البحر دافئاً كما كان في النهار ، ولكن في الليل كان له نقاء الكريستال الذي لا لون له بدلاً من لون الفيروز .

وفكرت بجدتها الكبيرة الفرنسية ، والتي على جزيرة الجنوب من هنا ، كانت تتسلل في الليل لتلتقي بحبيبها الشاب الشجاع على شاطىء جميل يشبه هذا الشاطىء كان كل شيء ضدهما . بياض بشرتها ، وسواد بشرته ، والعوائق الإجتماعية الصارمة بينهما في ذلك الوقت .

ولكن الحب لا يعرف الحواجز ، ولا قوانين . لقرون طويلة والناس يقعون في الحب في تحدي لكل التحريمات . البعض منهم ، مثل فرانسيسكا وباولو ، سببا لنفسهما المآسي . والآخرون ، كما جديها الكبيرين ، عاشا حياتهما بسعادة ليس لها مثيل .

ربما كان جدها يشبه لايل . طويل وقوي ، وله عينان سوداوان ضاحكتان جعلتا جدتها ماري مارتن ترتجف في داخلها عندما كان ينظر إليها .

ومثله مثل لايل ، لا بد انه كان يملك عقلاً جيداً ، اضافة لجسمه القوي . ومع انه كان سليل جيل من العبيد ، إلاّ ان ابنه أصبح رجلاً متعلماً ، وحفيده محام ، وابنة حفيده صحافية من أكثر الصحافيين مسؤولية .

ـ كم نحن محظوظان . لا شيء ضدنا ، والجميع معنا . بيت جميل لنعيش فيه . واهتمام مشترك بالصحيفة ، والسباحة . . . والابحار . . .

ورفع رأسه بين أصابعه وأدار وجهاً له وقال : «وهذا» وأطبق ذراعاه حولها يحتضنها بعناق طويل ، والبحر ، والسماء شاهدان .

«النهاية»